
الفيصل
الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود
مسيرة حياة حافلة

تتقدم

مؤسسة الملك فيصل الخيرية

بخالص التعازي

إلى خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز

وإلى صاحب السمو الملكي

الأمير سلمان بن عبدالعزيز

وزير الدفاع

وإلى الأسرة المالكة الكريمة وإلى الشعب السعودي

في وفاة صاحب السمو الملكي

الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود

ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية

إنا لله وإنا إليه راجعون

تتقدم دار الفيصل الثقافية

بمخالص التعازي

إلى خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز

وإلى صاحب السمو الملكي

الأمير سلمان بن عبدالعزيز

وزير الدفاع

وإلى الأسرة المالكة الكريمة وإلى الشعب السعودي

في وفاة صاحب السمو الملكي

الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود

ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية

إنا لله وإنا إليه راجعون

أعلن الديوان الملكي يوم السبت ٢٦ رجب ١٤٣٣هـ/ ١٦ يونيو ٢٠١٢م وفاة الأمير نايف بن عبدالعزيز؛ ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الداخلية. وجاء في البيان: ببالغ الأسى والحزن ينعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز أخاه صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز -ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الداخلية- الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى هذا اليوم السبت ١٤٣٣/٧/٢٦هـ خارج المملكة، وسيُصلَّى عليه -إن شاء الله- بعد صلاة المغرب من يوم الأحد الموافق ١٤٣٣/٧/٢٧هـ في المسجد الحرام بمكة المكرمة. وإذ يعلن الديوان الملكي ذلك ليُعزّي الشعب السعودي في الفقيد، سائلين المولى عزّ وجلّ أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يجزيه خير الجزاء لما قدمه لدينه ووطنه.. (إنا لله وإنا إليه راجعون).

المولد والنشأة

وُلد الأمير نايف بن عبدالعزيز -رحمه الله- في مدينة الطائف سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، ونشأ في كنف والده مؤسّس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيّب الله ثراه. وتلقى تعليمه على أيدي مجموعة من كبار علماء العلوم الشرعية، والآداب، والشعر العربي الفصيح، والعلوم السياسية والدبلوماسية، والإدارة، مستفيداً من رؤية والده المؤسس الذي عرف عنه منهجه المميّز في التربية والتعامل مع الأبناء.

مع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز



مناصبه

دخل الأمير نايف معترك الحياة العملية وهو في مقتبل العمر؛ إذ عيّن في عهد والده الملك عبدالعزيز -طيّب الله ثراه- وكيلاً لمنطقة الرياض في ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١هـ. وتولّى إمارة منطقة الرياض في ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢هـ، ثم عُيّن نائباً لوزير الداخلية في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٩٠هـ، وفي ١٧ رمضان سنة ١٣٩٤هـ عُيّن في المنصب نفسه بمرتبة وزير. وصدر مرسوم بتعيينه -رحمه الله- وزير دولة للشؤون الداخلية في ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ، ثم صدر مرسوم ملكي بتعيينه وزيراً للداخلية في ٨ شوال سنة ١٣٩٥هـ. وأصدر خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز أمراً ملكياً بتعيينه نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للداخلية في ٣٠ ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٧ مارس ٢٠٠٩م، وصدر أمر ملكي بتعيينه ولياً للعهد بعد وفاة الأمير سلطان بن عبدالعزيز في ٢٩ من ذي القعدة سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٧ أكتوبر ٢٠١١م.

اللجان والمجالس

أشرف الأمير نايف بن عبدالعزيز -رحمه الله- على عدد كبير من اللجان والمجالس، وترأس بعضها، وكان عضواً في بعضها الآخر، من أهمها: رئيس مجلس إدارة صندوق التنمية البشرية سنة ١٤٢١هـ، والرئيس الفخري للجمعية السعودية للإعلام والاتصال سنة ١٤٢١هـ، والرئيس الفخري للجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأسر السعودية في الخارج (أواصر)، والمشرف العام على اللجان والحملات الإغاثية والإنسانية بالمملكة العربية السعودية، ورئيس لجنة النظام الأساسي لنظام الحكم، ونظام مجلس الشورى، ونظام المناطق سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ورئيس مجلس القوى العاملة سنة ١٤١١هـ، والمشرف على هيئة التحقيق



الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود مسيرة حياة حافلة

والادعاء العام سنة ١٤٠٩هـ، والرئيس الفخري لمجلس وزراء الداخلية العرب سنة ١٤٠٤هـ، ورئيس المجلس الأعلى للإعلام سنة ١٤٠١هـ، ورئيس الهيئة العليا للأمن الصناعي سنة ١٣٩٧هـ، ورئيس مجلس إدارة جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية سنة ١٣٩٧هـ، ورئيس مجلس أمراء المناطق سنة ١٣٩٥هـ، ورئيس المجلس الأعلى للدفاع المدني سنة ١٣٨٧هـ، ورئيس لجنة الحج العليا سنة ١٣٨٥هـ، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ونائب رئيس الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، ورئيس المجلس الأعلى للسياحة.

مجلس وزراء الداخلية العرب

يترأس الأمير نايف فخرياً مجلس وزراء الداخلية العرب، الذي تمّ من خلاله إقرار كثير من المشروعات والاتفاقيات الأمنية بما يخدم أمن الإنسان العربي، من أهمها: الإستراتيجية الأمنية العربية في بغداد سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، والخطة العربية الأمنية الوقائية في تونس سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، والاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب التي وقّعها وزراء الداخلية والعدل العرب عام ١٩٩٨م، ومشروع الإستراتيجية العربية لمكافحة الاستعمال غير المشروع للمخدرات والمؤثرات العقلية.

مرتكزات تطوير المؤسسات الأمنية

ارتكزت رؤية الأمير نايف بن عبدالعزيز -رحمه الله- في تطوير قطاعات وزارة الداخلية على: تطوير القدرات البشرية بالتعليم والتدريب المستمر، وعصرية الإدارة، وتحديث الأنظمة بكل ما هو جديد، والاهتمام بالبنى التحتية، والتطوير العلمي والتحديث التقني المستمر.

وقد أثمرت جهود سموه عن تنمية شاملة لقطاعات العمل الأمني، ومنها: المديرية العامة للدفاع المدني، والمديرية العامة لحرس الحدود، والمديرية العامة للأمن العام، والمديرية العامة للمباحث، والمديرية العامة للسجون، وقوات الأمن الخاصة، والمديرية العامة للجوازات، وقوات أمن المنشآت، والمديرية العامة لمكافحة المخدرات.

الملفات الأمنية: الرؤية والمنهج

تحرّك الأمير نايف بن عبدالعزيز -رحمه الله- في معالجة الملفات الأمنية من خلال رؤية واقعية تنطلق من أن الأمن الشامل هو شراكة بين المواطن والمؤسسات الأمنية. وهي رؤية ثاقبة سلكت منهجاً قويماً في معالجة هذه الملفات الشائكة؛ ففي مجال المعالجات الفكرية لقضايا التطرف والإرهاب تمّت محاربة الفكر بالفكر؛ لأنه أجدى وأنفع من محاربته بالسلاح والقوة فقط؛ لذا تمّت الموافقة على: تأسيس إدارة خاصة سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م تحت اسم (إدارة الأمن الفكري) تضمن تنظيم وزارة الداخلية الإداري، وتأسيس كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، وتمويل كرسي الأمير نايف لدراسات الوحدة الوطنية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، وتشجيع عشرات الدراسات والأبحاث الخاصة بظاهرة التطرف وارتباطاتها ودعمها، وتشكيل فريق عمل من أساتذة الجامعات لوضع خطط إستراتيجية للأمن الفكري العربي، وتكليف فريق عمل كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري لوضع إستراتيجية وطنية شاملة للأمن الفكري سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

وفي مجال مكافحة المخدرات كانت إستراتيجية العمل

المؤسسي هي: تأسيس الإدارة العامة لمكافحة المخدرات في جهاز الوزارة، مع إدارة أمنية متخصّصة في الأمن العام -استقلت فيما بعد إلى قطاع- لمواجهة هذه الظاهرة على كل المستويات، وتأسيس اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات سنة ١٤٢٨هـ، وعقد عدد من الاتفاقيات الثنائية والإقليمية الدولية بما يحدّ من انتشار هذه الآفة وتفاقمها.

الجهود العربية والدولية

تنوّعت جهود الأمير نايف بن عبدالعزيز -رحمه الله- عربياً ودولياً. ومن أهم هذه الجهود على المستوى العربي: الإشراف على لجان الإغاثة والعمل الإنساني لمشروعات التبرعات الشعبية والحكومية التي تتبناها وتقدمها المملكة إلى الشعوب العربية المتعددة، ودعم جهود الإغاثة للشعب الفلسطيني، واعتماد كثير من المشروعات الإنسانية للمتضررين في الحروب وتنفيذها، وتقديم المساعدات الغذائية، ودعم الأسر الفقيرة والجرحى والمعوقين، وكفالة الأيتام، ودعم التعليم الجامعي، وبناء المساكن الخيرية، وتقديم الأدوية والمستلزمات الطبية، وبناء المراكز المتخصصة لعلاج الأورام السرطانية.

ومن أهم جهود سموه -رحمه الله- على المستوى الدولي: دعم الجهود الإغاثية للشعب الأفغاني، وإنشاء اللجنة السعودية لإغاثة كوسوفو والشيشان، وإغاثة المتضررين من كارثة تسونامي في إندونيسيا، وإغاثة المتضررين من الزلازل والفيضانات في الدول المتضررة، والإشراف العام على الحملة الوطنية لمساعدة متضرري مجاعة الصومال.



خدمة العلم والمعرفة

تعدّدت جهود الأمير نايف بن عبدالعزيز -رحمه الله- في خدمة العلم والمعرفة، تأتي في مقدمتها جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، التي ترأس سموه مجلس إدارتها، ونهضت الجامعة بتطوير الخبرات الأمنية والعدلية، وتقديم برامج ومؤتمرات دولية تستفيد منها الدول العربية، وتمنح شهادات الدبلوم والماجستير والدكتوراه.

ومن جهود سموه في هذا المجال: جائزة سموه العالمية للسنة النبوية المخصّصة لدعم الباحثين والعلماء في مجالات السنة وعلومها، ومسابقة الأمير نايف بن عبدالعزيز لحفظ الحديث النبوي التي تُعنى بحفظ الحديث النبوي الشريف عام ٢٠٠٦م، وإنشاء الكراسي العلمية محلياً ودولياً، وكرسي الأمير نايف للوحدة الوطنية، وكرسي الأمير نايف للأمن الفكري، وكرسي الأمير نايف للقيم الأخلاقية، إضافةً إلى مجموعة من المنح العلمية التي يتلقاها عدد من الطلاب من سموه لاستكمال دراساتهم العليا داخل المملكة وخارجها في تخصّصات مختلفة، ودعم أنشطة عدد من الجمعيات والمؤسسات العامة والعلمية، منها: الجمعية الوطنية للمتقاعدين، والجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأسر السعودية في الخارج (أواصر)، والجمعية السعودية للاتصال والإعلام. وكذلك إنشاء سموه -رحمه الله- عدة أقسام علمية، منها قسم الدراسات الإسلامية بجامعة موسكو سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ورعاية سموه بعض الجوائز والمؤتمرات والفعاليات العلمية والوطنية، منها: جائزة السنة النبوية، ومسابقة حفظ الحديث النبوي الشريف، وجائزة الأمير نايف للسعودة، ومؤتمر الصحة والسلامة المهنية الثاني والمعرض المصاحب له، اللذان نظّمتهما المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، والندوة الثانية للإصلاح والتأهيل في المؤسسات



الإصلاحية تحت شعار (السجين والمجتمع)، والمنتدى الإعلامي السنوي للجمعية السعودية للإعلام والاتصال، والمنتدى الدولي للشراكة المجتمعية في مجال البحث العلمي، والندوة السنوية (الأمن مسؤولية الجميع)، والندوة السنوية (المجتمع والأمن)، ومؤتمر الأسر السعودية والتغيرات المعاصرة، والمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري بجامعة الملك سعود، وملتقى الدراسات الدعوية، وندوة ترجمة السنة النبوية، والمؤتمر الوطني الـ١٩ للحاسب في جامعة الملك سعود بعنوان: (الاقتصاد الرقمي وصناعة تكنولوجيا المعلومات)، والمؤتمر الإسلامي الثاني لوزراء البيئة، والمؤتمر الأول لشعبة الهندسة الصناعية في الهيئة السعودية للمهندسين، ومؤتمر (سلامة وصحة الحجيج)، والمؤتمر الدولي الأول للسياحة والحرف اليدوية، ومؤتمر حقوق الإنسان في السلم والحرب، والمؤتمر العربي الثاني لرؤساء النيابات العامة، والمؤتمر العربي السابع لرؤساء أجهزة الإعلام والاجتماع المشترك مع وسائل الإعلام العربية.

الأوسمة والشهادات

نال الأمير نايف بن عبد العزيز -رحمه الله- عدداً من الأوسمة والشهادات تقديراً لجهوده الثمينة في مختلف المجالات، منها: وشاح السحاب من جمهورية الصين سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ووسام جوقة الشرف من جمهورية فرنسا سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ووسام المحرّر الأكبر من جمهورية فنزويلا سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ووسام الكوكب من المملكة الأردنية الهاشمية سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، والدكتوراه الفخرية في القانون من جامعة (شنغ تشن) في الصين الوطنية سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ووشاح الملك عبدالعزيز من الطبقة الأولى، وهو أعلى وسام في المملكة العربية السعودية، ووسام الأمن القومي من جمهورية كوريا الجنوبية سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، والدكتوراه الفخرية في القانون من كوريا الجنوبية، ودرجة الدكتوراه الفخرية في العلوم السياسية من الجامعة اللبنانية سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م في ختام الدورة الـ٢٦ لمجلس وزراء الداخلية العرب في بيروت، ودرجة الدكتوراه الفخرية من جامعة أم القرى في السياسة الشرعية، ووسام الأرز من الجمهورية اللبنانية سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، والدكتوراه الفخرية من جامعة الرباط في جمهورية السودان.

الهوايات والاهتمامات

لم تمنع الأمير نايف بن عبدالعزيز -رجل الأمن الأول في المملكة، رحمه الله- مهامه الجسيمة من أن تتعدد هواياته ومواهبه، ومنها: حب القراءة، خصوصاً في مجالات العلوم الشرعية والتاريخ والآداب والسياسة، وممارسة الرياضة البدنية بشكل يومي منتظم، والسباحة، والقنص، وركوب الخيل والاهتمام بتربيتها؛ إذ يحتفظ سموه بعدد من الخيول العربية الأصيلة ذات السلالات العريقة.

رحم الله الأمير نايف بن عبدالعزيز، وأسكنه فسيح جناته.

العددان ٤٣٣-٤٣٤ / رجب - شعبان ١٤٣٣هـ

المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

سيد علي الجعفري

يوسف باش أعيان

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠

ردمد ١٠٤١-٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com

contact@alfaisal-mag.com

alfaisalmagazine@yahoo.com

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات. في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات ».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٨٠٠ فلس. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٧٥٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤ جنيهات. السودان ١,٥ جنيه. المغرب ١٠ دراهم. تونس ١,٢٥٠ دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١). فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥. فاكس ٣٣٩١٠٩٦. ٢٠٢...، سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢. فاكس ٢١٢٢٥٣٢. ١١. ٠٠٩٦٣، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣ نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩. ٧١. ٠٠٢١٦، قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥. ٠٠٩٧٤، الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١. فاكس ٤٦٣٥١٥٢. ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٣١٢٨١. ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١، الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ١٢/١١/٢٤١٧٨١٠. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥، المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٣٢/٢٢٤٠٤٠٣١. ٢١٢. ٠٠ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢/٢٠١٩٠١. ٣. ٠٠٩٦٧ فاكس: ٧/٢٠١٩٠٩

alfaisalmagazine@yahoo.com

رســـائلكم



اقتراحات لـ«الفيصل»

سعادة الدكتور: يحيى محمود بن جنيد

رئيس تحرير مجلة الفيصل

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، وبعد:

أدام الله أفراحك وسرورك، أكتب إلى سعادتك لكي أشكرك أنت وكلّ من يعمل في مجلة الفيصل، المجلة الرائعة التي أنتظرها كلّ شهر بفارغ الصبر حتى تصدر لكي أقرأها من الغلاف إلى الغلاف؛ فشكراً لكلّ من يعمل على إصدار تلك المجلة، وأتمنى لكم مزيداً من النجاح والتفوق. ولي عدة اقتراحات أعرضها على سعادتكم لتطوير المجلة، هي:

– لماذا لا تصدر المجلة نصف شهرية؛ لأن المدة بين صدور العدد والعدد الآخر تصل إلى شهر ونصف الشهر في بعض الأوقات؟.

– بالنسبة إلى المسابقة، أسئلتها صعبة جداً في بعض الأعداد، وبصراحة أشعر أنني في امتحان، وأنني سأعرف النتيجة بعد عدة أشهر، ولا أعدّ نفسي قد نجحت إلا مع الفوز بالمسابقة بإذن الله.

– أرجو من سعادتكم أن تنشروا موضوع عن إحدى الزواحف التي تعيش في جمهورية مصر العربية، وهي تنتمي إلى الثعابين، وهي أخطر أنواعها، وتسمى (الطريشة)، وسمها ليس له علاج، كما أنها تتميز بالقفز على فريستها وعضّها العضة القاتلة، وأريد أن أعرف كلّ المعلومات عنها وصورها.

وفي نهاية رسالتي أرجو أن تأخذوا بتلك الأفكار، وشكراً لسعادتكم.

محمد عبدالهادي محمد عبدالرحيم

مصر - قنا

التحرير

نشكر لك تواصلك، ونقدّر ثقتك، ونأمل أن تكون المجلة مرضيةً لجميع قرائها، ولا شك أن اقتراحاتك ستكون محلّ اهتمام، وإن كان من الصعب الصدور كل نصف شهر، ونتمنى أن تكون أحد الفائزين بمسابقة (الفيصل).

«الفيصل» في اليمن



السادة مجلة الفيصل الثقافية

تحية طيبة، وبعد:

استفساري حول انقطاع المجلة عن مكتبات اليمن وأكشاكها على الرغم من سؤالنا عنها دائماً، ولا ندري ما أسباب عدم وصول مجلة الفيصل إلى اليمن بانتظام. نأمل منكم أن تدلّونا عن كيفية الحصول على أعداد الفيصل الأخيرة.

محبتنا الدائمة لكم، وانتظارنا لكل جديد من مجلتكم الغراء.

محمد محمد إبراهيم

اليمن

التحرير

نشكر لك اهتمامك الكريم، وحرصك على الحصول على المجلة، وقد كانت هناك صعوبات في الشحن في فترة مضت، لكنها عادت إلى الانتظام في الوصول إلى مكتبات اليمن، والأعداد التي تودّ الحصول عليها يمكنك تسجيل أرقامها، والكتابة إلى قسم الاشتراكات والتوزيع، ونأمل الإفادة في حال وجود أيّ مشكلة.

نهر المعرفة

أودّ تسجيل إعجابي الكبير، واعتزازي الخالص، بمجلتكم القيمة (الفيصل)، وهي بحقٍّ إضافة إلى الثقافة العربية، ونهر المعرفة، والثقافة الأدبية الرفيعة.

مع أطيب تمنياتي للمجلة بالتقدم والرقيّ والازدهار، وأجمل تحياتي لهيئة التحرير، وللقائمين على الموقع، لهم جميعاً خالص التحيات، وجزاكم الله خير الجزاء، والسلام عليكم.

فتحي أبو المجد محمد

مصر

التحرير

نشكر لكم ما خصصتم به المجلة من إطراء، ونأمل دائماً أن يجد القارئ بين صفحاتها ما ينفع ويفيد، مرحّبين بكل رأيّ؛ حتى يمكن الاسترشاد به في تطلّعنا إلى الأفضل.

ظاهرة أطفال الشوارع
خطر داهم يحيق بالمجتمعات العربية

وفيق صفوت مختار
سوهاج – مصر

هناك كثير من التعريفات التي تناولت أطفال الشوارع Streets Children من جوانب متعددة؛ فقد عرّف Agnelli أطفال الشوارع بأنهم الأطفال الذين يعملون ويقيمون في الشوارع كلّ الوقت أو بعضه من دون رعاية من أسرهم. كما عرّف Boyden أطفال الشوارع بأنهم الأطفال المهضوم حقهم في الحياة، والمظلومون الذين يقيمون في الشوارع ويعملون بها. ويعرّف أحمد صديق طفل الشارع من منظور معاناته النفسية والاجتماعية بأنه كل طفل من أسرة تصدعت أو تفكّكت يعاني جملة ضغوط نفسية وجسدية واجتماعية، ولم يستطع التكيّف معها، فأصبح الشارع مصيره حيث لا يتوافر أيّ من سبل البقاء أو النمو أو الحماية الطبيعية، وحيث يعاني كلّ صنوف انتهاكات حقوق الطفل المعترف بها دولياً.

تطور المشكلة دولياً

هناك تقديرات لأعداد أطفال الشوارع ينقصها بعض الدقة، إلا أنها يمكن أن تلفت النظر إليهم بوصفهم فئة ضعيفة تواجه صعوبات ومخاطر يومية من أجل أن تحافظ على بقائها وسط غابة الأقوياء من الكبار الذين يفرضون عليهم الاستغلال بشتى أنواعه. وقد نُشرت بعض التقديرات العالمية التي تشير إلى أن إجمالي عدد هؤلاء الأطفال في جميع الدول النامية (دول العالم الثالث) ٧٥ مليون طفل، إضافةً إلى خمسة ملايين طفل في الدول الصناعية المتقدمة.

أسباب انتشار الظاهرة

- أولاً: العوامل الاقتصادية

أشار كثير من الدراسات إلى أنه غالباً ما ينتمي أطفال الشوارع إلى أسر منخفضة الدخل، وأنها عادةً تعيش عند خط الفقر أو دونه، وهذا ما يجعل الوالدين يدفعون بأولادهم إلى ممارسة أعمال التسوّل أو التجارة في بعض السلع الهامشية طوال اليوم لمساعدتهم اقتصادياً.

- ثانياً: العوامل المجتمعية والأسرية

تعدّ التجمعات العشوائية هي البؤرة الأولى المستقبلة لأطفال الشوارع؛ فقد تمّ تقدير المناطق العشوائية في مصر بنحو ١٠٣٤ منطقة موزّعة على ٢٤ محافظة مصرية. وإذا نظرنا نظرةً سريعةً إلى هذه التجمعات العشوائية من الناحية العمرانية والبيئية فسنجد الآتي:

- المستوى المتردّي لأغلبية المساكن؛ فهي لا تخضع لأيّ نوع من الرقابة.
- افتقار نسبة كبيرة من هذه المساكن إلى المرافق والخدمات الأساسية كالمياه الجارية، والمجاري، والكهرباء (٥٥٪ منها لا تتمتع بالصرف الصحي، و٣٥٪ من مبانيها لا تصل إليها مياه الشرب).
- عدم وجود احتياطات لمواجهة المشكلات الكبيرة التي قد تنتج في تلك المناطق؛ كالحرائق وانتشار الأوبئة.
- وجود عوامل اقتصادية واجتماعية متردّية أيضاً؛ كالدخل المنخفض، وازدياد الكثافة السكانية، وسوء الحالة





> **غالباً ما ينتمي أطفال الشوارع إلى أسر منخفضة الدخل، تعيش عند خط الفقر أو دونه، وهذا ما يجعل الوالدين يدفعون بأولادهما إلى ممارسة أعمال التسوّل أو التجارة في بعض السلع الهامشية**

الصحية والتعليمية، وارتفاع نسبة المشكلات الاجتماعية؛ كالإجرام والطلاق.

أما العوامل الأسرية التي تؤدي إلى زيادة مشكلة أطفال الشوارع فنوجزها في الآتي:

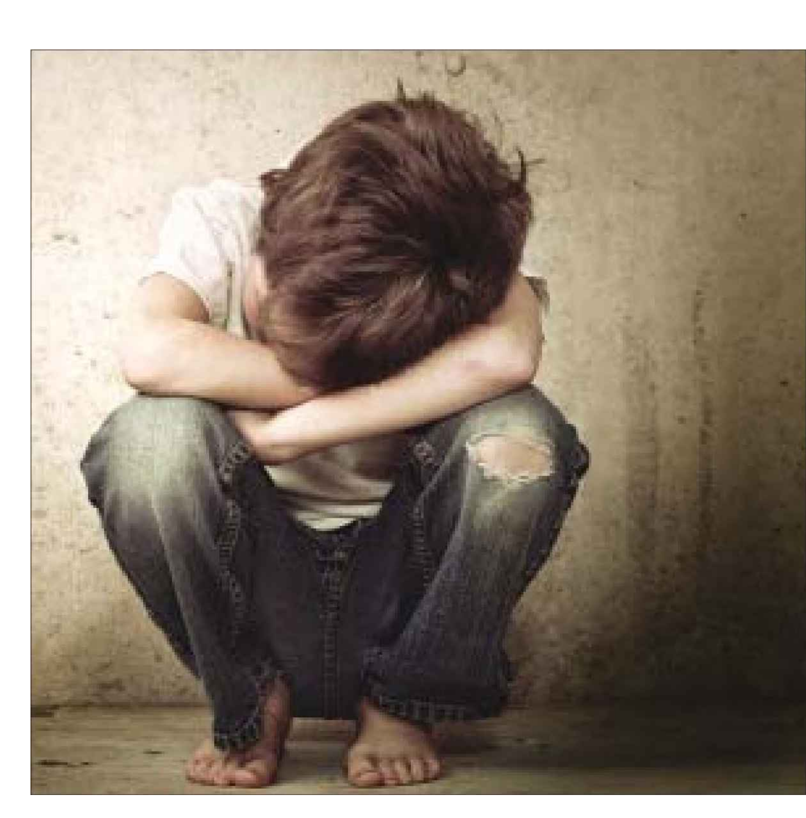
- الأوضاع الأسرية السيئة: حيث المستوى الاقتصادي والاجتماعي المنخفض، وانخفاض الوعي التربوي، والقصور في الرعاية الصحية والاجتماعية؛ مما يجعل الأطفال عرضة للانزلاق إلى الشارع في محاولة لإشباع بعض احتياجاتهم الأساسية، التي قد تخرجهم من الضغوط الاجتماعية والاقتصادية داخل أسرهم من دون أن يعوا مدى خطورة هذا الانزلاق على حاضرهم ومستقبلهم.
- انخفاض المستوى التعليمي للوالدين: فنسبة الأمية مرتفعة، خصوصاً بين الفئات الدنيا التي ينتمي إليها أطفال الشوارع، والأمية لا تساعد على فهم أهمية التعليم وقيمته، وهو الأمر الذي يساعد الأبناء على ترك المدارس، ولجوئهم إلى الشارع من دون مقاومة من الأسرة.
- الوراثة المهنية: مهنة آباء أطفال الشوارع هي مهنة ذات طبيعة حرفية وهامشية؛ لذلك فغالباً ما يأخذ الآباء أولادهم منذ الصغر في أثناء ممارستهم التسول، أو بيع السلع الهامشية، من أجل التأثير في عواطف المواطنين، ومن ثَمّ ينشأ أطفال الشوارع منذ نعومة أظفارهم معتادين هذا الوضع من التسول.
- كبر حجم الأسرة: تعدّ زيادة حجم الأسرة إحدى صفات الأسر المنخفضة المستوى الاجتماعي والاقتصادي، خصوصاً التي تقع عند خط الفقر وتحته، والتي عادةً ينتمي إليها أطفال الشوارع. كما تفتقد هذه الأسر القدرة على تخطيط حياتهم وتنظيمها في المستقبل، ويساعد

> **من الضروري مرور أطفال الشوارع بمدة تكيف نفسي ليتعلموا معنى الانتماء إلى المجموعة، وإلى المجتمع وأهميته، واحترام العمل ومسؤولياته وواجباته وتقديرها**

على ذلك وضع المرأة المتدني الذي يحرمها في الأغلب من فرص التعليم، وبذلك يحدّ من قدرتها على اتخاذ القرار المتعلق بعدد الأطفال الذين تودّ إنجابهم. إضافةً إلى ارتفاع كثافة المنزل بسبب كبر حجم الأسرة، وضيق المسكن، وقد اتضح من نتائج الدراسات أن عدد الأفراد الذين ينامون في حجرة واحدة يبلغ ٥-٦ أفراد!!.

- ثالثاً: العوامل التعليمية

يعدّ التعليم المحور الأساسي لتقدم المجتمعات وتنميتها، وفي وطننا العربي يواجه التعليم تحديات جسيمة، منها على سبيل المثال: أدى التسابق بين التعليم والنمو السكاني المستمر بمعدلات مرتفعة خلال العقود الثلاثة الأخيرة إلى أن تأثرت الخطط التوسعية في التعليم، كما تحوّل التعليم من المجانية الحقيقية إلى مصروفات ظاهرة أحياناً، ومستترة أحياناً أخرى، بعد أن تزايدت تكلفته على الأسر الفقيرة؛ ففي إحدى الدراسات التي أجريت في مصر تبيّن أن الطفل في المرحلة الابتدائية يتكلف كحدٍّ أدنى نحو ٢٠٠ جنيه، وهو مبلغ كبير على الأسر الفقيرة التي لديها أربعة أطفال أو خمسة. كما أن المساعدات الخارجية؛ مثل: الدروس الخصوصية، أو مجموعات التقوية، إضافةً إلى الملخصات المدرسية، أصبحت الآن تمثّل أهميةً قصوى في نجاح الطالب. وبالطبع فإن هذه الأنواع من المساعدات التعليمية تمثّل عبئاً ثقيلاً جداً على الأسر الفقيرة.



سمات أطفال الشوارع

- هو طفل محبّ للتملك، ومتطلع إلى المساواة مع أطفال الشارع الآخرين.
- معظم أطفال الشوارع لديهم نوع من العدوانية نتيجةً للإحباط، وهو ميل يزداد في بيئة الشارع التي هي دائماً في عدوان مستمر عليهم، وبعد مدة وجيزة يتحولون هم أنفسهم إلى العدوان على الأطفال الأصغر أو الأحدث في الشارع.
- الانفعال الشديد والغيرة القاتلة.
- حب ألعاب الحركة والقوة.
- يجيدون التمثيل؛ فهو إحدى وسائلهم الدفاعية ضد أي أخطار يواجهونها.
- هناك نماذج من أطفال الشوارع كثيرو البكاء، طلباتهم كثيرة ومحددة جداً.
- مستواهم الدراسي ضعيف جداً؛ فمنهم من لم يلتحق بالتعليم، ومنهم من تسرّب من الدراسة مبكراً؛ لذا فهم لا يستطيعون التركيز في أيّ حديث قد يكون طويلاً.
- طفل الشارع لا يؤمن البتة بمبدأ (الصواب والخطأ)؛ فطفل الشارع بهروبه من المنزل حطّم نسبياً الضبط الخارجي عليه، المتمثل في ربّ الأسرة الذي كان يوجّهه، وبهروبه أيضاً أصبح لا يملك أيّ نوع من الضبط عليه، فيصبح هائماً على وجهه، يسير حسب الأمواج التي تتلقّفه في الشارع من رصيف إلى رصيف، ثم يبدأ الطفل في تشكيل نفسه حسب الموقف، وحسب احتياجه العضوي الملح.
- كل ما يملكونه هو منظومة من السلوكيات تعكس حالة تمرّد

وإحساس بعدم قبول المجتمع لهم، ومن ثَمّ الخوف منه، ثم اكتشافهم المتكرر -من واقع خبراتهم الأليمة- المطاردات المستمرة من الناس والشرطة و(البلطجية)؛ لذا فإن قيمة الكذب قيمة عالية بالنسبة إلى حياتهم، وسمة الغموض هي سمة مطلوبة لحماية أنفسهم من المخاطر التي تحيق بهم.

أهم الممارسات الشاذة لأطفال الشوارع

- الانضمام إلى الجماعات المتطرفة، وممارسة النشاط الإرهابي والتطرف الأخلاقي، وكذلك الانضمام إلى عصابات التهريب والسمسرة عبر المناطق الجمركية والموانئ، خصوصاً في المناطق الحرة اعتماداً على خفة حركتهم.
- استخدامهم في ترويج الأنواع الجديدة من المخدرات والاتجار فيها.
- أعداد واسعة من أطفال الشوارع يشمّون (الكُلَّة)، وهم يحصلون عليها من الخرائب، ويتجمعون حولها للشم، فتؤثر في وعيهم، ويتعودونها؛ لأنها تساعدهم على الهرب المؤقت من مشكلاتهم، كما يشمون البنزين والتنر؛ لأنها رخيصة الثمن.
- ينتشر الجرب بين أطفال الشوارع؛ إذ يولّد قروحاً تسبّب للطفل شعوراً دائماً بالحك في الجلد، ومن أسبابه عدم الاستحمام، وعدم تغيير الملابس بصفة مستمرة، وخطورة هذا المرض أنه معدي بمجرد اللمس.
- أطفال الشوارع ينامون ملتصقين بعضهم بجوار بعض للحصول على الدفء من برد الشتاء، فيجمعهم غطاء واحد، وبهذا الالتصاق يحدث نوع من شعور الطفل باللذة، ويستمر هذا الحال يومياً حتى يتعود الطفل ذلك، ومع كبر السن تتحول هذه الحالة إلى انحراف جنسي، فيقدم الطفل الأكبر (البالغ) على اغتصاب الطفل الأصغر منه سناً في أثناء نومه، واستغلاله جنسياً بدعوى حمايته.

الإعداد النفسي والمهني لأطفال الشوارع

إن الهدف الأساسي من إقامة أي مشروع لخدمة أطفال الشوارع هو توفير الخدمات الصحية، والتربوية، والاجتماعية، والمهنية؛ لإعداد هؤلاء الأطفال لكي يكونوا مواطنين صالحين



أرقام وإحصاءات

- في المكسيك: هناك ٢٠٠ ألف طفل يتسكعون في شوارع العاصمة مكسيكوسيتي.
- في الأرجنتين: تمّ تقدير أطفال الشوارع عام ١٩٨٢م بنحو ٣٠٠ ألف طفل.
- في السودان: وتحديداً في مدينة الخرطوم العاصمة يوجد ٢٠ ألف طفل من أطفال الشوارع.
- في الولايات المتحدة الأمريكية: يوجد ٢٠ ألف طفل في شوارع مدينة نيويورك ينام بعضهم على أرصفة محطات مترو الأنفاق.
- في البرازيل: يعيش أكثر من ٣٠ ألف طفل في الشارع.
- في مصر: نسبة المعرّضين للانحراف عام ١٩٩٢م نحو ٦٣٣٧ طفلاً، وجملة الأطفال المشرّدين بلغ ١١٢٢٣ طفلاً، بنسبة ٩٢,٥٪ من الأطفال الذكور. وتعدّ مدينة القاهرة العاصمة أكثر المدن المصرية التي ينتشر فيها الأغلبية العظمى من الأطفال المشردين، ويبلغ عددهم ٣٥٥٠ طفلاً بنسبة ٣١,٦٪، كما سجلت مدينة بورسعيد إجمالياً وصل إلى ١٨٨٤ طفلاً بنسبة ١٦,٨٪، تليها مدينة السويس بإجمالي قدره ١٥٩٩ طفلاً بنسبة ١٤,٢٪.

تحوّل التعليم في الوطن العربي من المجانية الحقيقية إلى مصروفات ظاهرة أحياناً، ومستترة أحياناً أخرى، بعد أن تزايدت تكلفته على الأسر الفقيرة



من الممارسات الشاذة لأطفال الشوارع: الانضمام إلى الجماعات المتطرفة، وممارسة النشاط الإرهابي والتطرف الأخلاقي، والانضمام إلى عصابات التهريب والسمسرة عبر المناطق الجمركية والموانئ

يشاركون كغيرهم في خدمة مجتمعهم بعد تأهيلهم لأعمال حقيقية تدرّ عليهم دخلاً يساعدهم على توفير مقومات الحياة الكريمة. لقد أصبح من الضروري مرور هـؤلاء الأطفال بمدة تكيّف نفسي مع الأوضاع الجديدة المستهدفة لهم، يتفهّمون من خلالها معنى الانتماء إلى المجموعة، وإلى المجتمع وأهميته، واحترام العمل ومسؤولياته وواجباته وتقديرها. وتكمن أهمية مدة التكيّف النفسي كذلك في تأهيل هؤلاء الأطفال للحصول على عمل منتظم ودخل مناسب يشبعون به رغباتهم الضرورية، واحتياجاتهم المعيشية. وهذا التأهيل يتطلب من الفرد الجهد، والمثابرة، والرغبة في التعلم، واستخدام العقل والقدرات الذاتية في تنمية إمكاناتهم وملكاتهم وتطويرها للنجاح في الأعمال الحقيقية التي تناسبهم. أما التدريب والتأهيل المهني المناسب لهؤلاء الأطفال، فيكمن في الاهتمام برعاية الأطفال الذين هم في سنّ أقلّ من ٦ سنوات؛ إذ يمكن توجيههم بعد ذلك إلى التعليم الأساسي. أما من هم في سن ٦-١٢ سنة، فإن أفضل مجال للعناية بهم هو التركيز في محاولة إعادتهم إلى النشاط التعليمي والتثقيفي، مع توفير الأنشطة اليدوية والمهنية التي تساعد على استغلال أوقاتهم من دون توقّع الحصول على منتج سليم. أما من هم في سن ١٢-١٥ سنة، فهؤلاء في سنّ الإعداد للعمل من خلال أساليب تدريب مختلفة لا تتعارض مع قوانين



العمل المحلية والدولية؛ إذ يمكن إلحاق بعضهم بالمدارس المهنية الإعدادية، أو الاتفاق مع بعض أصحاب العمل الصغيرة والمتوسطة لالتحاق الطفل حسب إمكاناته وقدراته للتدريب بنظام (التدرّج المهني)، وكذلك يمكن إلحاق الأطفال بمراكز تدريب خارجية تعمل في تخصّصات لا تتوافر في مؤسسات الإيواء؛ مثل: مراكز التكوين المهني، أو بعض مراكز الشباب.

توصيات ومقترحات

- ضرورة وضع إستراتيجية قومية لمواجهة ظاهرة أطفال الشوارع تشارك فيها جميع أجهزة الدول والمنظمات الحكومية وغير الحكومية بشكل متكامل ومتناغم.
- إيجاد آلية قومية وطنية تُمثَّل فيها الجهات المعنية كافةً، تتصدى بالأساليب العلمية لكل ما يعترضها من صعوبات، أو الاستفادة من الخبرات الدولية في هذا المجال.
- ضرورة الاهتمام بالمؤسسات التعليمية والمدرسية والرقابة على العملية التعليمية ذاتها بما يضمن جذب الصغار إلى التعليم، وعدم نفورهم منه، واستمرارهم فيه.
- توفير الإمكانات اللازمة لتعليم أطفال الشوارع في ورش ضخمة، وأن تكون هذه الورش على صلة مباشرة بأماكن العمل المستقبلية للأطفال.
- محاولة تطوير التجمعات العشوائية والريفية من خلال الاهتمام بأوجه الرعاية المختلفة: صحية، واجتماعية، وعلمية.
- الاستفادة من وسائل الإعلام في التوعية بالحقوق الأساسية للطفل، والتبصير بالمخاطر الاجتماعية لهذه الظاهرة.
- توفير أماكن الإيواء اللازمة للصغار المفتقدين للحياة الأسرية.
- توفير الكوادر المتخصّصة في التعامل مع هذه النوعية من الصغار.
- تشديد العقوبات على استخدام الصغار في الأنشطة الإجرامية أو غير القانونية، أو عندما يكون الصغار ضحايا لها.
- تشجيع الجمعيات الأهلية التي تختصّ بمجال الأسرة ورعايتها، خصوصاً في المناطق العشوائية.

معظم أطفال الشوارع لديهم نوع من العدوانية نتيجةً للإحباط، وهو ميل يزداد في بيئة الشارع التي هي دائماً في عدوان مستمر عليهم

المراجع

- محمد سيد فهمي، أطفال الشوارع، الإسكندرية: المكتبة الجامعية، ٢٠٠٠م.
- أحمد مصطفى العتيق: الخصائص النفسية والاجتماعية لساكني الأحياء المزدحمة لمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، ١٩٩١م.
- المعتز شاكر محمد، ظاهرة عمالة الأطفال وأطفال الشوارع، مجلة مركز بحوث الشرطة، القاهرة، ١٩٩٧م.
- جمال مختار حمزة، أطفال الشوارع، مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٦م، العدد السابع.
- مدحت أبو النصر، مشكلة أطفال الشوارع، كلية الخدمة الاجتماعية بالفيوم، ١٩٩٢م.

عبدالرحمن بن محمد العقيل
الرياض – السعودية
abdul9253@hotmail.com
تصوير: فاطمة عبدالعظيم الضامن

إطلالة على المكتبات الخاصة في القطيف



تعددت زياراتي إلى محافظة القطيف (الخطّ قديماً) بين شهري جمادى الأولى ورمضان من سنة ١٤٣٢هـ، ومكثت بها في زيارات عمل امتدت خمسين يوماً، موزعة بين أسبوع ثم شهر ثم أسبوعين. وقد جعلتني طبيعة تلك الزيارات أتعرف القطيف تعرفاً أزعم أنه واسع في زمن وجيز.

كان لديّ متّسع من الوقت هناك لرصد شيء مما لعلّ كثيراً من القراء يجهلونه، بعد أن تحكّمت بوقتي عندهم، وهو أمر غير يسير في مجتمع قطيفي سخيّ كريم قد يُلزمك فاضل من



فضلائه، ويجرّك إلى مأدبته جرًّا ولا فكاك، فتجد بعد ضيق الإلـزام السعادة والأنس بطيب ما رأيتَ وسمعتَ، فنشرتُ في الفيصل في عدديها ٤٢٣- ٤٢٤، رمضان- شوال ١٤٣٢هـ، مادةً تحت عنوان: (القطيف: العمل التطوعي والتواصل الثقافي)، وأثنّي هنا بحديث يُجلي جانباً من النشاط الثقافي الحضاري لهذه المحافظة الجميلة، وسأثلّث بحول الله باستطلاع مصوّر شامل لمدن محافظة القطيف.

وقد ألمحتُ في استطلاع سابق إلى كثرة المكتبات الخاصة في القطيف، ثم لقيتُ أجمل ترحيب من أصحاب خمسٍ من المكتبات القطيفية الخاصـة، الـذين فتحوا لي قلوبهم قبل مكتباتهم، وتخلّصت من دعواتهم الكريمة للضيافة التي ستستهلك وقت عملي بالاحتجاج كذباً أحياناً بوجود مواعيد، ولا مواعيد وقتها، فكانوا في غاية اللطف في قبول الاعتذار، وأذكر على رأس هؤلاء فضيلة الشيخ حسن الصفّار، الذي أكرمني مراراً بإهدائي كتباً هي أعزّ عليّ من ألف وليمة، ولا ألتقيه إلا ويذكر فطوراً أو غداءً أو عشاءً، وتلك طبيعة متأصّلة فيه مع كلّ زائر، واتصل بي -جزاه الله خيراً- على كثرة التزاماته (في آخر يوم لي في القطيف من تلك الزيارة الرمضانية)، وعتب عليّ بما يشبه القول: «يعني ستذهب دون أن نقوم بواجبك»، فله أجزل الشكر؛ فقد أخذت واجبي وزيادة.

لقد وصف الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله- النشاط الثقافي في القطيف في (سوانحه)، وطرفاً من علائقه الثقافية فيها، فقال: «مدينة القطيف من مراكز الحضارة في الجزيرة، وقد حفلت في العهود السابقة بكثير من رجال العلم والأدب والثقافة. ونجد الأصفهاني صاحب كتاب (خريدة العصر) في القرن الخامس الهجري يترجم لبعض شعرائها، وكذا ابن معصوم في القرن الحادي عشر؛ فقد ترجم في (السلافة) لعدد من أدبائها وشعرائها، ومن أبرزهم جعفر الخَطّي، ولكن عدم تدوين ما يتعلّق بالجانب الثقافي بصفة عامة فيها فيما مضى؛ لانصراف علمائها إلى العلوم الدينية البحتة، كان من الأسباب التي أضفت سُجُفاً على تاريخها الأدبي في العصور الأخيرة بخلاف المهتمين بالمباحث الدينية. ولهذا فليس بدعاً أن يكون فيها بيوت علمية تُعنى بجمع

لم تعد المكتبات الخاصة حكراً على الأسر العلمية؛ فلا يكاد يخلو حي من مكتبة خاصة ذات قيمة، لكن قل الاهتمام بالمخطوطات بشكل ملحوظ

مدينة القطيف من مراكز الحضارة في الجزيرة، لكن عدم تدوين ما يتعلّق بالجانب الثقافي بصفة عامة فيها فيما مضى؛ لانصراف علمائها إلى العلوم الدينية البحتة، كان من الأسباب التي أضفت سجفاً على تاريخها الأدبي في العصور الأخيرة

المؤلفات في مختلف أنواع العلوم، وقد اطّلعت لدى بعض المثقفين من أهل هذه البلدة على عدد من نوادر المخطوطات؛ منها: مجلد من (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري يحوي أخبار الشعراء، وأجزاء من (الخريدة) صوّرتُ صفحات من أحدها، وبعثت به إلى الدكتور عبدالوهاب عزّام، الذي كان من المشاركين في نشر الكتاب، وعلمتُ أن هذا الجزء أهداه الشيخ خالد الفرج إلى مكتبة الشيخ محمد سرور الصبّان. ومما اطلعتُ عليه من مكتبة آل الجِشّي، وهي من الأسر العريقة في تلك المدينة، مجموعة من المخطوطات، منها نسخة قيّمة من كتاب (سلافة العصر) لابن معصوم الموسوي، وهي نسخته الأصلية، وفي طرّتها ختمه، وكتابات بخطه... وقد عجبتُ حين رأيتُ أحد أدبائها، ويدعى أحمد المصطفى، يقتني كتاب (منهاج السنّة) لابن تيمية، فقلت له مستغرباً: ألا تعرف أن هذا الكتاب يردّ على أصحاب مذهبك؟! فقال لي: أعرف هذا، ولكنني أبحث عن الحق مع مَن كان. وممن توثّقت الصلة بيني وبينه من أهل هذه المدينة: عبد رب الرسول الجِشّي، ومحمد سعيد المُسْلِم، وعبدالله بن إخوان، وعبدالله بن نصر الله، وحسن الجِشّي، وكان من ألطف مَن عرفتُ في هذه البلدة، وأوسعهم اطلاعاً على الثقافة الغربية؛ فقد أجاد اللغة الإنجليزية، حيث كان موظفاً في شركة (أرامكو)؛ مما مكّنه من مواصلة الاستفادة والاستزادة من المعرفة»[1].

لقد مضى على كلام الشيخ حمد -رحمه الله- سبعة وستون عاماً تقريباً، ومكتبات القطيف الخاصة اليوم تفوق تلك الصورة التي رآها بمراحل على الرغم من كل حالات عدم الاستقرار التي تمرّ بها هذه المحافظة. ولم تعُد المكتبات الخاصة حكراً على الأُسَر العلمية؛ فلا يكاد يخلو حيّ من مكتبة خاصة ذات قيمة، لكن قلّ الاهتمام بالمخطوطات بشكل ملحوظ، والمهتمون بها اليوم قلّة يعدّون على أصابع اليد الواحدة، ويأتي على رأسهم الشيخ حبيب آل جميع رئيس تحرير مجلة (الساحل) التاريخية القطيفية.

ولن يضر الحُسن القطيفي وجود بعض العقبات المزعجة؛ فقد سمعتُ بمكتبة في القطيف يُقال عنها: إنها من كبرى المكتبات في الخليج(!!!)، فتملّكني الفضول بغية الوصول إلى تلك المكتبة (الكبرى)، وكان تواصلي الهاتفي المتكرر مع ابن صاحب تلك المكتبة؛ ذلك الابن الذي تعامل معي بتسويف غريب مقصود، تمنّيت معه لو قال لي: إننا لا نستطيع، ظروفنا لا تسمح بزيارة المكتبة!!. وبعد عدة اتصالات عزّت عليّ نفسي أن تحمل هذه المماطلة التي لا معنى لها؛ فعزفت عن الاتصال والتطلّع إلى تلك التي يُقال عنها: إنها من كبرى المكتبات في الخليج.

ولما سمع الشيبة المليح أبو سيبويه محمد علي الناصر شكايتي المرّة من ذلك قال قبل ولوج ثَبَج مكتبته ببروده المليح: «على كل مَن يريد أن يبحث عن شيء أن يتحمل، ويصبر، ويتعب، ويبذل جهداً كبيراً كما قال الشاعر: (فما انقادت الآمال إلا لصابر)... فلا تقنط وتيأس وتقول هذه آخر محاولة، كرّر العودة مرّةً وأخرى: (مَن أكثر قرع الباب يوشك أن يُفتح له)، وإذا لم تتّخذ هذا الأسلوب فلن تعمل شيئاً. بعضهم يمتنع عن إطلاع الناس على مكتبته، ولعلّ له سبباً؛ فلا نستطيع أن نحكم بخطئه قبل أن نعرف الأسباب، لكنني أرى أن الأفضل فتح الطريق في هذا المجال؛ لأنه نشر ثقافة وتوثيق ومعرفة بالإخوان وتواصل. ولذلك اسمع مني ما يخصّني، كاد الدور الأول كله من بيتي هذا يصبح مكتبةً، وهذا الأمر اضطرّني إلى تقسيم المكتبة ثلاثة أقسام، موزّعة على ثلاثة أدوار: القسمان في الدورين الثالث والثاني لا سبيل إلى الوصول إليهما الآن حيث يفتقران إلى الترتيب، ويصعب عليّ أنا الاستفادة مما فيهما لما ذكرت لك. يبقى القسم الأول فهو مفتوح أمامكم، وعلى الرحب والسَّعة، وإن شاء الله تزوروننا زيارةً خاصةً وقد رتّبنا المكتبة كلها، وأما الآن فتفضّل

يا حبيبي لما هو متاح لك، وزارتنا البركة، وزارنا الخير، ووجهك المبارك هذا نوَّر علينا اليوم واجد، تفضّل يا حبيبي».

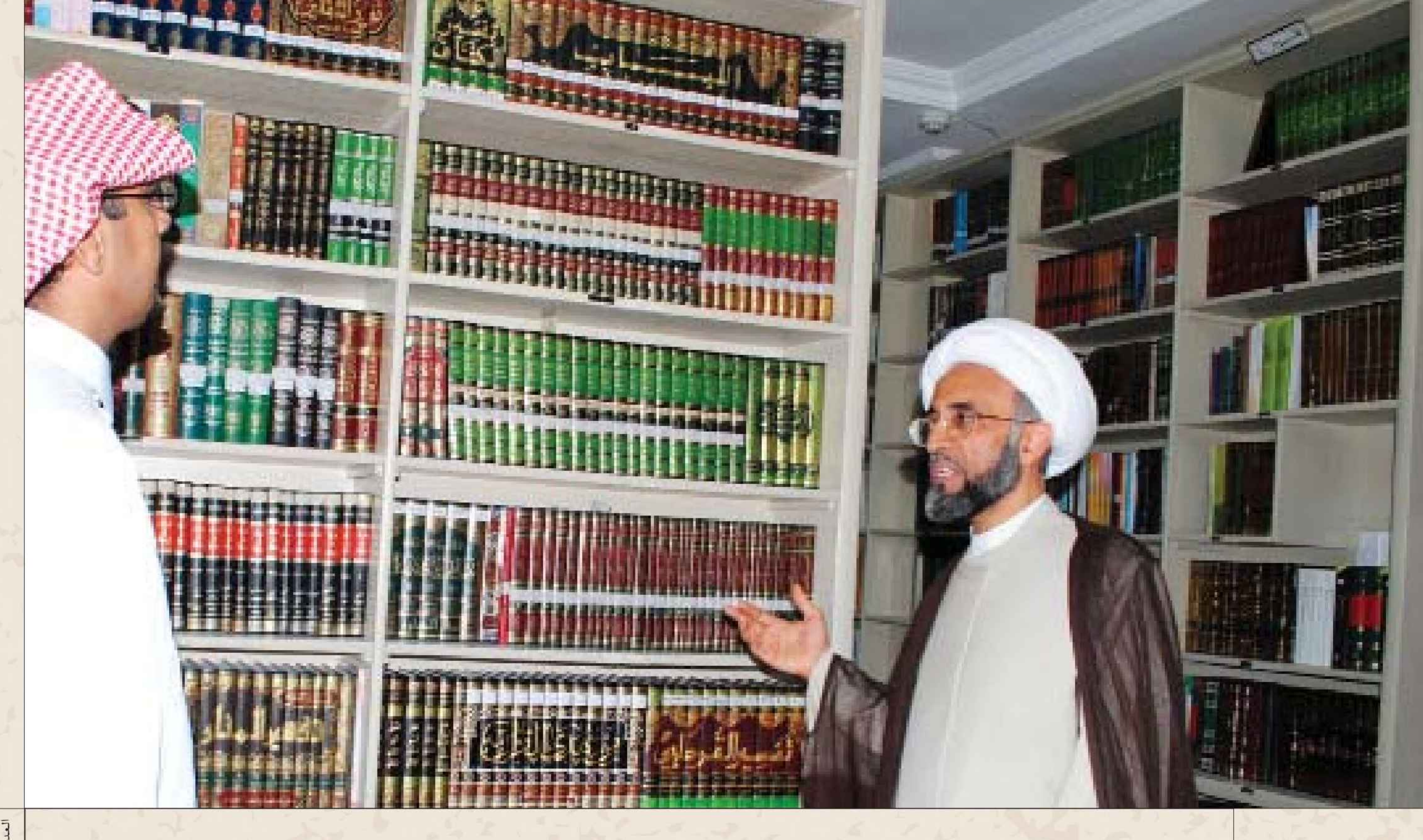
أما الصديق الخلوق عليّ معتوق الحرز، فله رأي صريح؛ إذ قال: «هناك مكتبات كثيرة في محافظة القطيف مثل مكتبتي في الحجم وأكبر، ولكنك لن تجد وسيلة للوصول إليها؛ فأصحاب تلك المكتبات تملّكهم الهاجس الأمني الذي بقي زمناً طويلاً مُضيِّقاً على الكتاب الشيعي، وما زال مستحوذاً عليهم على الرغم مما حصل من انفتاح رحب من الدولة مع الشيعة وكتبهم، ولك أن تقول: إنهم أصيبوا (بالاستصحاب المزمن)، الذي سيبقى على ما يبدو معهم إلى آخر حياتهم».

وتأكيداً لكلام الحرز أذكر حادثةً مزعجةً في هذا الشأن من زيارتي الثانية القطيف التي استمرت شهراً؛ فقد ذكر لي أحد أحبابي القطيفيين مكتبة تجارية تُباع فيها الكتب الشيعية بتاروت، وحدّثني عن تميّز كتبها، فلما وصلت إلى تلك المكتبة بعد عناء وجدتها أقرب إلى القرطاسية، فأبديت لمن يعمل فيها تعجّبي مما سمعت عن تميّز مكتبتهم، وأن لا شيء فيها يطابق ما سمعت، فقال: بل الذي سمعته صحيح، لكن في فرعنا الثاني، فوصف لي وصفاً يدير الرأس، وزوّدني ببطاقة للاتصال بهم إذا أضعت الطريق، ولما تأكّدت من ضياعي بعد وقت ليس بالطويل اتصلت برقم المحمول المدوّن في الكرت، وهو رقم صاحب المكتبة الذي يكون دائماً في الفرع الزاخر بالكتب، فسألته: هذا رقم المكتبة الفلانية؟ فردّ بالإيجاب قبل أن يلحظ غرابة لهجتي عن المنطقة، فطلبت منه تأكيد وصف الطريق؛ لأنني من خارج المنطقة، وأرغب في شراء بعض الكتب، وقد أرسلني الإخوة في فرعكم الفلاني، فقال مرتاباً متلجلج اللسان: ما الذي تريده من الكتب وأنا أختصر عليك الجهد؛ فإن كانت عندنا أخبرتك؟ قلت: لا عناوين بعينها، وإنما أريد زيارة المكتبة، وأخذ ما أحتاج إليه بالمشاهدة والفحص، وعندي قائمة نسيت إحضارها. فردّ: أنت غلطان، هذه ليست مكتبة، وأغلق الخطّ في وجهي. فأعدتُ الاتصال عليه مراراً فلم يردّ، وأدركتُ سبب تخوّفه مني!. فبقيت ضائعاً نحو ثلاث ساعات، أدركتُ بعدها أنني أدور في حيّ واحد لا أخرج منه، ولا أعود إليه، وأنا لا أدري، وظننتُ أنني أخرج من حيّ وأدخل آخر؛ لأن الأحياء متشابهة بسبب سوء التنظيم، والأنكى من هذا أنني أدور طوال الساعات وأنا على بُعد خمسمئة متر على الأكثر من المكتبة. ولما تعبتُ، وأُغلقت المحالّ، سألت أحد المارّة عن المكتبة الفلانية، فقال: بعد أول تقاطع أمامك، يأتيك على اليمين شارع صغير (زنقة) بعرض أربعة أمتار أو خمسة، ادخله تجد المكتبة على يمينك (وأكّد لي بلهجته القطيفية المليحة وتمطيطها: بِتْشُوفِنّهَا آوَّلْ ما تَدْخِل)!!. وحقًّا لما وصلت شِفْتِنّهَا وقد أغلقت أبوابها، فانتابتني حالة هستيرية، وكرّرت اتصالاتي على صاحب المكتبة لعله يرد.

وفي الزيارة الثالثة (الرمضانية) مررتُ مصادفةً بالفرع الصغير، فتوقفت عنده، ووجدتُ فيه شخصاً آخر غير السابق، فسألته: أنت صاحب المكتبة؟ قال: لا، أنا أخوه الكبير. فدار بيننا حديث طريّ، وأخبرته بفعل أخيه، فتعالت الضحكات، وبالكرم القطيفي حاول أن يسترضيني بخاتم ثمين أخرجه من خنصره ليضعه في خنصري، ولم يردَّه إلى مكانه إلا بعد أخذ وردٍّ وأيمان. ثم التقيت أخاه الذي ماطلني في زيارتي السابقة، وكان في غاية الفضل معي والتلطّف.

المهم، لدينا هاهنا مادة لا أدري كيف سيتّسع صدر مجلة الفيصل لنشرها مع هذا العدد الكبير من الصور، وكلّ ما هنا نتيجة زيارات وحوارات مع أصحاب تلك المكتبات الكرام، وملاحظات سجّلتها في وصف مكتباتهم الثرية، فجعلتها على هذا الشكل مراعاةً لترابط السياق في توصيف مترابط المبنى والمعنى كأنك معي في تلك المكتبات، وأجده أكثر انسجاماً وتسلسلاً من (سين وجيم).

أبو سيبويه: على كل من يريد أن يبحث عن شيء أن يتحمل، ويصبر، ويتعب، ويبذل جهداً كبيراً كما قال الشاعر: (فما انقادت الآمال إلا لصابر)



العددان ٤٣٣-٤٣٤ / رجب - شعبان ١٤٣٣هـ

مكتبة الشيخ حسن بن موسى الصفّار

في محافظة القطيف (في مدينة القطيف نفسها) مكتبتان إن وصلتَ إليهما كفتاك عن مكتبات محافظة القطيف؛ أولاهما (المكتبة القطيفية) لصاحبها السيّد عبّاس الشبركة، وهي مكتبة متخصّصة في الكتاب القطيفي تأليفاً وتحقيقاً وترجمةً، وتضم أكثر من ثلاثة آلاف عنوان على ذلك التخصيص، وقد تحدثت عن هذه المكتبة في المقال السابق، ولا حاجة إلى إعادة الكلام[٢]. وأخراهما مكتبة الشيخ حسن بن موسى الصفّار، وهي ليست من أهم مكتبات محافظة القطيف الخاصة، بل أهمها قاطبةً، وأُولى مكتباتها؛ لعدة مزايا؛ منها: أن منشئها الشيخ الصفّار أتاحها للباحثين يرتادونها من دون الحاجة إلى تنسيق سابق على امتداد العام من الثامنة صباحاً إلى الواحدة ظهراً، ثم من السابعة إلى العاشرة مساءً، وفيها موظفون يقومون على خدمة الباحث، إضافةً إلى توفير أجهزة الكمبيوتر للباحثين، وخدمة الإنترنت، وآلات التصوير، والكتب الإلكترونية، إضافةً إلى ضيافة الباحث بالشاي القطيفي البارع الذي يُعدّ باستخدام السماور العراقي. والمكتبة أيضاً في نمو مستمر؛ إذ تتزوّد بالكتب من دون توقف، ثم المكتبة منتقاة بعناية من حيث أجود الطبعات، والشمول الموضوعي لمحتوياتها؛ فصاحب المكتبة طالب علم على ثقافة عالية، ودراية واسعة، ومتابعة مستمرة لأهم الكتب التي يختارها بنفسه، ويندب مَن يحصّلها من المكتبات داخل المملكة وخارجها. والمكتبة أيضاً

مكتبة جامعة

ليس في مكتبة الصفار تمييز بين الكتب، فتجد كتب الشيعة إلى جانب كتب أهل السنة والإباضية والزيدية؛ فليس هنا كتاب محظور أو محدود الاطلاع، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى أنها في الأساس مكتبة خاصة، وليس عندي كتاب يتناول محظوراً بغرض نشر المحظور، وإنما ما نُشر بغرض الاطلاع والدراسة. ومن حق الباحثين والعلماء، ومن الواجب عليهم أيضاً، أن يطّلعوا على مختلف الآراء حتى يستطيعوا مناقشتها والرد عليها. أما إذا لم نطّلع على ما في كتب اليهود والنصارى والشيوعيين والفرَق المختلفة فكيف نستطيع أن نناقشها؟!».

وأذكر هنا أن الشيخ حسن الصفّار عالم في طليعة علماء القطيف المعاصرين، بدأ بممارسة الخطابة سنة ١٣٨٨هـ وهو في الحادية عشرة من عمره، وألبس العمامة سنة ١٣٩١هـ وهو في الرابعة عشرة من عمره بتوجيه من الشيخ فرج العمران، وصدر له من المؤلفات حتى اليوم نحو ١١٣ عنواناً، وله نشاط إصلاحي مشهود بإشاعة روح التسامح والتعايش والتنوع الثقافي.

مرتّبة موضوعياً، ومفهرسة آلياً.

في مساحة كبيرة بطول الدور الثاني من مجلسه العلمي رتّبت دواليب الكتب التي ترتفع إلى السقف، وبلغ عدد الكتب يوم زيارتي إليها قرابة ١٠ آلاف عنوان، موزّعة في ١٢٦٥٨ مجلداً في جميع المجالات الدينية والثقافية والعلمية، وقد وقفتُ فيها على ما يقرب من ٥٣ تفسيراً للقرآن الكريم من تفاسير الشيعة وأهل السنة، وبعض تفاسير الزيدية والإباضية، وأكثر من ٥٦ مصدراً من مصادر الحديث الشريف، إضافةً إلى عدد كبير جداً من الدراسات الفقهية والفقه المقارن ومصادر الفقه لجميع المذاهب الإسلامية، وكتب العقائد، والسيرة، والتاريخ والتراجم، والأدب، والعلوم الاجتماعية، والثقافة العامة، إضافةً إلى الموسوعات العامة والمتخصصة والدوريات التي تصدر داخل المملكة وخارجها وتصل أعدادها إلى المكتبة بشكل دوري. ويسعى الشيخ حسن إلى تجهيز مكتبة متخصّصة للأطفال.

المكتبة مكتبة خاصة أصلاً، لكن صاحبها -كما قال- لا يؤمن باحتكار العلم؛ لذلك فهي مفتوحة لأيّ شخص من المنطقة أو خارجها يريد أن يستفيد منها طوال أيام السنة، باستثناء أيام الجمع. وقد صرف صاحب المكتبة اهتمامه في إنشائها لأجل المعرفة؛ لذلك لم يهتم بالمخطوطات والنوادر كما يقول، وإنما بقي لديه عدد قليل جداً من الكتب القديمة النادرة التي تملّكها في طفولته، منها: كتاب (البلوى في بنات حواء)، الذي تملّكه في ١٣٨٨/٤/٦هـ، وهو في الحادية عشرة من عمره، وكتاب (روح الدين الإسلامي) لعفيف عبدالفتّاح طبّارة، الذي تملّكه في ١٣٨٨/٣/٩هـ. ولا تخلو المكتبة من كتب عليها إهداءات مؤلفيها من علماء شيعة وسنة.

تجوّل بنا الشيخ حسن الصفّار في مكتبته، وحدّثنا عنها وعن رحلته مع الكتاب حديثاً شائقاً، نقتطف منه قوله: «قصتي مع الكتاب والمكتبة قصة قديمة، بدأت وأنا في العاشرة من عمري سنة ١٣٨٧هـ حين أخذت في اقتناء الكتب، وتكوين مكتبة خاصة شراءً وإهداءً. ومع مرور الوقت تجمع عندي مئات من الكتب إلى سنة ١٤٠٠هـ، ثم غادرت البلاد، وبقيت هذه المكتبة في القطيف؛ فلم أجد من المناسب تجميد هذه الكتب في مكانها، فشجّعت الإخوة أن يأخذوا منها ما يفيدهم ويتملّكوه، وهكذا توزّع أغلب تلك الكتب. وحينما رجعت إلى البلاد سنة ١٤١٥هـ وجدتُ عشرات من تلك المئات من الكتب، فبدأت من ذلك العام بتكوين هذه المكتبة التي تراها. وبين سنتي ١٣٩٥ و١٣٩٨هـ كنت أتردّد على مسقط عاصمة سلطنة عمان، وأبقى فيها ثلاثة أشهر ونحوها من كل عام للخطابة والتبليغ الديني، فكوّنت لي مكتبة هناك أيضاً، وعندما تركت مسقط في آخر رحلة لي إليها في العام المذكور (١٣٩٨هـ) تركت تلك المكتبة أيضاً للشباب هناك حتى يستفيدوا منها، فكانت هي المكتبة الثانية، وتوزّعت بين شباب مسقط. وحينما ذهبت إلى إيران سنة ١٤٠٠هـ بدأت أيضاً بتكوين مكتبة جديدة ثالثة، وبقيت هناك إلى سنة ١٤٠٨هـ، ثم انتقلت منها إلى سورية، وتركت مكتبتي في إيران ليستفيد منها المشايخ هناك. وفي سورية أسّست مكتبةً كبيرةً أيضاً؛ إذ أقمتُ في ريف دمشق بين سنتي ١٤٠٨ و١٤١٥هـ في منطقة السيدة زينب، فكانت مكتبة كبيرة فيها آلاف من الكتب مفتوحة للمطالعة ويرتادها الناس، ولما عُدتُ إلى القطيف وزّعت تلك المكتبة الدمشقية على المكتبات هناك، فكانت المكتبة الرابعة. فهذه المكتبة التي نحن فيها الآن هي المكتبة الخامسة التي بدأت بتأسيسها سنة ١٤١٥هـ، وهي كبرى المكتبات التي أسّستها في سني عمري.



مكتبة الأستاذ علي معتوق الحرز

تقع هذه المكتبة الكبيرة، التي تضم أكثر من ٢٥ ألف مجلد، في مدينة أم الحمام، وقد بدأ مؤسّسها الأستاذ علي معتوق الحرز بجمعها وهو في الثالثة عشرة من عمره سنة ١٣٩٧هـ منذ تعلّقه بالقراءة في السير والأساطير الشعبية؛ مثل (سيرة عنترة)، وحفظ المعلقات، والاطلاع على الأدب الجاهلي.

هذه المكتبة أكبر ما رأيت من المكتبات في محافظة القطيف من حيث عدد الكتب، وقد التهمت من منزل صاحبها مساحةً كبيرةً على رفوف تمتد إلى السقف، وتضم أكثر من ثلاثين تفسيراً من أمّات التفسير السنّية والشيعية؛ مثل: تفسير ابن عاشور، وتفسير السيّد المدرّسي، وتفسير الميزان، والتفسير الأمثل الذي اشترك في تأليفه أربعة عشر عالماً من علماء الشيعة، وغيرها، إلى جانب كتب الحديث، والفقه وأصوله، وأصول الدين، والفلسفة، والعلوم الاجتماعية، والأدب، وباقي التخصصات، وفي المكتبة مجموعة من الدوريات، بعضها مما توقف، إضافةً إلى عدد من سلاسل الكتب.

ومن مقتنياته القديمة كتاب (الهيئة والإسلام) في علم الفلك لمؤلف شيعي بغدادي معمّم، اسمه هبة الدين الشهرستاني، الذي تولّى وزارة التعليم العراقية، وهذا الكتاب امتلكه سنة ١٣٩٨هـ، وهو مطبوع سنة ١٣٨٤هـ.

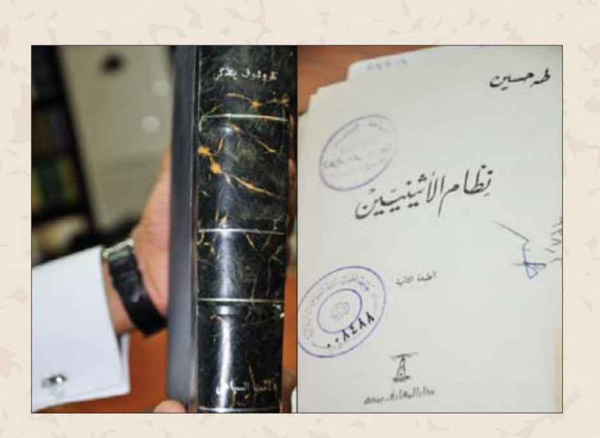
وبعض الكتب يشتريها -كما يقول- للندرة فقط؛ مثل: كتاب

العددان ٤٢٣-٤٢٤ / رجب - شعبان ١٤٣٣هـ

المحرّر مع الأستاذ الحرز، ويرافقهما عبدالعظيم الضامن

(كشف الأسـرار المخفية في علم الأجـرام السماوية والرقوم الحرفيـة)، وهـو تحفة نـادرة مطبوع على صورته المخطوطة الملونة، على أسلوب الكتب التي كان ينشرها فؤاد سزكين، وهو بحقّ تحفة نـادرة لجمال الخطّ والزخرفة المتقنة، وقد نشرته وزارة الثقافة في سلطنة عمان في طباعة ملونة.

وهنا استرسال ممتع لأبي حسين الحرز عن رحلته في شراء الكتب: «أكثر كتبي اشتريتها من معارض الكتب، وبخاصة معرض البحرين، ثم من معارض الكتب في الرياض والشارقة والقاهرة، وأشتري من سورية والأردن. والشراء من الخارج يحميك من جشع الباعة في الداخل؛ فمجموعة الأعمال الكاملة للدكتور زكي محمد حسن، الذي نشرته دار الرائد ببيروت، تُباع في مكتبة المتنبي بالدمام بـ٤٠٠٠ ريال، وقد اشتريتها وقتها من إيران بـ١٠٠ ريال!!. وكان الكتاب الشيعي قديماً -قبل تخفيف القيود عليه- يصلني إلى هنا شراءً بأضعاف مضاعفة، وأذكر أن كتاب (بحار الأنوار) كان سعره أكثر من ٨٠٠٠ ريال في السابق، واليوم يُباع بـ٣٠٠٠ ريال تقريباً، والشهادة لله أن الإعلام تغيّر في أيامنا هذه بشكل إيجابي؛ فزال كثير من المضايقات التي كانت تقيّد حركة كتبنا، ولعلّ من الطريف أن أذكر أن البحرين اليوم إذا



البداية.. سيرة عنترة

مكتبة الأستاذ علي معتوق الحرز غير متاحة للباحثين على الدوام، حالها كحال باقي المكتبات القطيفية، باستثناء مكتبة الشيخ حسن الصفار، لكن يرحّب صاحبها بمن يحتاج إلى الإفادة من مكتبته بعد التنسيق هاتفياً معه، ويأتي إليها كثير ممن يعرفهم صاحبها للإفادة منها، سواء من داخل المنطقة أم من خارجها، من الشيعة والسنّة أيضاً.

(سيرة عنترة) كانت أول كتاب اقتناه الحرز، و(جواهر الأدب) للهاشمي الذي تملّكه سنة ١٣٩٨هـ، قبل ٣٤ سنة، ولا يزال محتفظاً بتلك الطبعة القديمة، ويرجع إليها عند الحاجة على الرغم من صدور طبعات أنيقة ملوّنة منه على امتداد هذه السنوات، ويعتزّ بهذا الكتاب الذي حفظ المعلقات الجاهلية منه في عمر مبكر.

مُنع فيها كتاب يأتي أهلها ليحصلوا عليه من عندنا.

لقد تكوّنت لديّ عادة ملازمة منذ تعلّقت بالكتاب، فلا أدخل مدينة إلا ويكون من اهتمامي السؤال عن أكثر المكتبات تميّزاً فيها، ومنها مكتبات الكتاب المستعمل التي قد تجد فيها ما لا تجد في غيرها، وأحياناً الحراجات؛ فكثير من المتوفّين يكون لديهم كتب كثيرة أو قليلة، ومنها النفيس، وأحياناً يكون صاحب المكتبة من العلماء المعروفين، لكن جهل الأبناء يبدّد كتباً عزيزة في أماكن لا تليق بتلك الكتب؛ كالحراجات مثلاً، وأذكر أن العالم الحجازي أحمد السباعي -رحمه الله- بيعت كتبه بعد وفاته، ويتملّكك العجب العجاب حين تعلم أن كتب هذا العالم الحجازي (في غرب المملكة) بيعت في حراج (مزاد) الدمام (في شرق المملكة)!!. وعندي مجموعة من مكتبة الشيخ السباعي الذي كان يُعنى بتجليدها، ويكتب اسمه أسفل كعب المجلد، اشتريتها من حراج الدمام، وهذا ما دعاني إلى التفكير في وقف مكتبتي بعد موتي ليستفيد منها الناس هنا.

وأذكر شيئاً مقارباً لما ذكرتُ من عدم الاهتمام بالكتب، وبيعها في الحراجات وأرصفة الشوارع؛ فقد كنت في زيارة إلى العراق عام ١٩٩٥م، وتجوّلت بحثاً عن الكتب في مدن ثلاث، هي: كربلاء، والنجف، وبغداد، في أماكن أعرفها، فوجدت كتباً من مكتبة جامعة الكويت تُباع على الأرصفة بسعر بخس، فاشتريت مجموعة من تلك الكتب، وفي بعض بطون أغلفتها الأخيرة جيب بداخله كروت الإعارة الذي سُجِّلت فيه أسماء المستعيرين للكتاب حسب النظام المتّبع في تلك الجامعة، ومن تلك الكتب: (نظام الأثينيّين) لطه حسين، و(هذا العالم الجديد حضارة أمريكا اللاتينية).

وفي عام ٢٠١١م اشتريتُ من شارع الحجاز في دمشق، الذي ينشط فيه الباعة في بيع الكتب المستعملة في الأعياد، كتاباً عنوانه: (علم النفس الحديث)، هذا الكتاب مطبوع عام ١٩٥٢-١٩٥٣م، وتملّكه شخص لا أعرفه، ولا أظنه معروف ثقافياً، اسمه جواد عرفات، أرّخ تملّكه في ١٩٥٥/٦/٢٦م، وكتب فوق توقيعه: (التعيس لن تسعده الأيام)، وجواد هذا كان طالباً جامعياً درس هذا الكتاب في الجامعة، وقد اشتريته إعجاباً بتعليقاته وتتبّعه على كتاب كبير بهذا الحجم من الجلدة إلى الجلدة، و١٦ صفحة بخطّ يده ألحقها به تلخيصاً له.

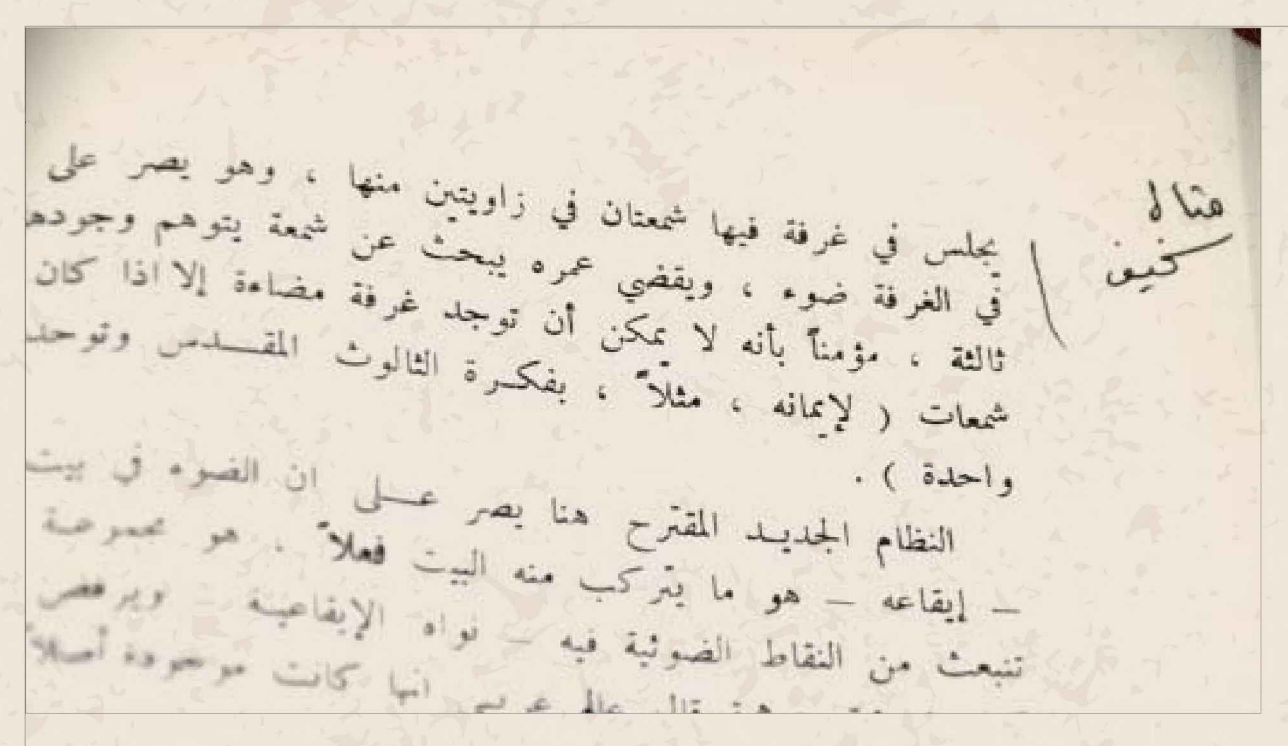
أما المكتبات الخاصة، فإنني أشتري منها ومشاعري مذبذبة بين فرحي بنادر أقتنيه وحزن بالغ يأخذ في نفسي كلّ مأخذ عندما يتعرّض عالم لضائقة مالية تضطره إلى التفريط في كتبه (وهي روحه). وفي مكتبتي ما يقرب من ثمانين مجلداً اشتريتها عام ١٩٩٦م بنحو سبعة آلاف ريال من مكتبة ودار ابن حزم الواقعة في شارع موسى بن نصير بحي العليا في مدينة الرياض، اشتريتها من مكتبة الشيخ أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري الخاصة، وأظنك تعرفه أكثر



مني. لقد بيعت تلك الكتب لظروف مالية ألمّت بالشيخ كما ذكر في إحدى مقالاته في صحيفة الجزيرة، والطريف من أمر تلك الكتب أن على بعضها تحشيات بخط أبي عبدالرحمن، وأنا اليوم نادم لأنني لم أستكثر من تلك الكتب التي عليها تعليقاته، وتلك التي عليها إهداءات إليه من مؤلفيها، وهي مكتبة متميزة جداً، فيها نوادر الكتب والمجلات؛ مثل: شعر، والأديب، والمقتطف، وغيرها كثير جداً، وكان أبو عبدالرحمن ابن عقيل يجلّد كلّ ما يدخل مكتبته من الكتب ذات الأغلفة، وهذا ما حفظها مع الزمن».

وألحف الأستاذ الحرز في إثبات حديث عن الكتاب الشيعي يتوجّه به إلى أهل السنّة (السلفيين)، يقول: الإخوة السنة يقرؤوننا من خلال بعض المنشدين، فيضخّمون من شأن هؤلاء مع الأسف، ويسمّونهم بالعلماء، بينما هناك أكثر من سبعين ألف عمامة في قم ممن أخلصوا للعلم، وأفنوا أعمارهم فيه أربعين سنة وخمسين سنة، هؤلاء لا تجد منهم عالماً يسعى في فرقة المسلمين سنّة وشيعة، ولنفترض أنه شذّ منهم ألف خرجوا

تعليقات بخط أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري على كتاب (الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي) لمحمد البهي، وتوقيعه أحياناً تحت التعليق، وتأريخه بيوم ٦/٧، ونجد في إحدى التعليقات حضور ابن حزم دائماً في عقل تلميذه ابن عقيل



مثال سخيف

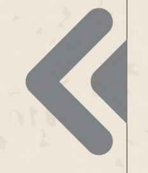
يجلس في غرفة فيها شمعتان في زاويتين منها ، وهو يصر على
في الغرفة ضوء ، ويقضي عمره يبحث عن شمعة يتوهم وجوده
ثالثة ، مؤمناً بأنه لا يمكن أن توجد غرفة مضاءة إلا اذا كان
شمعات (لإيمانه ، مثلاً ، بفكرة الثالوث المقدس وتوحد
واحدة) .
النظام الجديد المقترح هنا يصر على ان الضوء في بيت
— إيقاعه — هو ما يتركب منه البيت فعلاً . هو مجموعة
تنبعث من النقاط الضوئية فيه — نواه الإيقاعية ويرفض
انها كانت موجودة أصلاً

تعليقات بخط أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري على كتاب (في البنية الإيقاعية للشعر العربي) للدكتور كمال أبو ديب، ولم تخلُ تلك التعليقات من الحدّة المعروف بها قلمه أحياناً؛ إذ كتب في هامش إحدى الصفحات «تفلسف تافه»، وفي أخرى «مثال سخيف»، كما يمارس التقطيع العروضي في الهوامش عند الحاجة.

عن خط الدراسة في وقت مبكر جداً، فهؤلاء لا يُعدّون في مصافّ العلماء، هؤلاء الذين يخرجون في الفضائيات يضخّم الإخوة السلفيون من شأنهم، فيقولون: «هذا عالمهم»!. هؤلاء المنشدون أقصى جهدهم أنهم درسوا (قَطر الندى وبَل الصَّدى)، وحفظوا كتاباً أو كتباً في (العزاء الحسيني)، واعتلوا المنابر باسم الشيعة للإساءة إلى الشيعة قبل السنّة؛ فهؤلاء لا يمثّلون الشيعة، ولا نعترف بهم؛ فعلماؤنا تربّوا علمياً على عدم الإساءة.

وأخيراً، أشير إلى أن (بحار الأنوار) للمجلسي فيه روايات ضعيفة وموضوعات وخرافات، ونحن الشيعة نعرف ذلك، وقد جمع فيه المؤلف الأحاديث من دون اهتمام ببيان الصحيح من غيره، ومنه يستقي السلفيون تلك الروايات، ولا يعنيهم مع الأسف النظر في كتاب (مشرعة الأنوار) للشيخ محمد آصف محسن، الذي بيّن الصحيح والضعيف في (بحار الأنوار) من أوله إلى آخره، و(ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار) للمجلسي؛ فهو شرح لكتاب الطوسي (تهذيب الأحكام)؛ إذ يأتي في (الملاذ) بالحديث ويقرؤه سنداً ومتناً، ويحكم عليه بالصحة أو الحسن أو الضعف، و(مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول) للمجلسي، وهو شرح لكتاب (الكافي)، ويبيّن صحيح الرواية من ضعيفها. والمؤسف أن معظم السلفيين لا يلتفتون إلى مثل هذه الكتب، لكن يتصيّدون من (بحار الأنوار) الروايات الشاذة، ويقولون: «رأينا في بحار الأنوار».





مكتبة أبي سيبويه محمد علي الناصر ومتحفه

أبو سيبويه هو أحد خطباء مدينة القديح، بدأ الخطابة سنة ١٣٨٢هـ تقريباً وهو في السابعة عشرة من عمره، يأسرك بحلاوة منطقه، وفصاحة لسانه، وكثرة محفوظه؛ فلا تملّه. شغلته هواية جمع التراث عن طباعة أكثر من ثلاثين كتاباً مصفوفة من مؤلفاته، يذكر منها: أعلام القديح، وتاريخ القديح، الذي عمل فيه أكثر من خمس وأربعين سنة في جمع تاريخ هذه المدينة من الكتب وصدور الرجال، وقد عرض عليه بعض الفضلاء طبع كتبه، ومنهم السيّد عبّاس الشبركة صاحب المكتبة القطيفية، الذي عرض عليه تحمل تكاليف طباعة كتبه كلها، إلا أنه متروٍّ في مسألة الطباعة، راكن -كما يقول- إلى مقولة برتراند راسل: «لا تطلب سرعة العمل، واطلب تجويده».

استقبلنا أبو سيبويه في مجلس يفتح على الشارع مباشرةً، وفي ذلك المجلس قطع آثارية (بخاصة الساعات) تقدّر قيمتها وباقي محتويات المجلس بأكثر من أربعمئة ألف ريال، وقد دخلنا ذلك المجلس وبابه موارب، وكذا في باقي الغرف الغاصّة بالتحف الثمينة، والمصاحف القديمة والحديثة، ومخطوطات الكتب، من دون تأمين (ولو بطفاية حريق واحدة).

ولما سألته: ما الخطوات التي اتخذتها للحفاظ على مكتبتك وتحفك بعد موتك؛ حتى لا تذهب نهباً بيد مَن لا يعرف قيمتها؟ قال: سأعدّ لها مكاناً منفرداً. فقاطعته: أنت

تضم مكتبة أبي سيبويه الواقعة في مدينة القديح أكثر من ثلاثين مصحفاً، يصل سعر بعضها إلى أكثر من ثلاثين ألف ريال أو أربعين، ولعل أبا سيبويه من الأقلاّء الذين يهتمون باقتناء المصاحف القديمة والمخطوطات في المنطقة، ويفسّر العزوف عنهما بأنه قبل ثلاثين سنة كانت المخطوطات متوافرة، وكان المصحف يأتي من تركيا، وتصل قيمته بالكثير إلى سبعة آلاف وخمسمئة ريال، وكانت المبايعة أيسر من اليوم؛ فالمبتلى بحبّ المخطوطات والآثار إذا ضاقت ميزانيته عن الشراء نقداً يشتري بأقساط، وتغيّرت الأحوال اليوم تحولاً كبيراً. ومن المصاحف التي يمتلكها أبو سيبويه:

- مصحف مذهّب كُتب في قصر الملك العثماني، كتبه الفقيه الحاج السيّد عثمان، المعروف بصادق الشوقي القادري، كاتب السراي السلطاني حالي بوستشين سنة ١٠٩٠هـ.
- مصحف مذهّب في آخره: «أُمرتُ بكتابة هذا المصحف الشريف من طَرَفِ السلطان المحمود في الآفاق، خليفة الله الملك الخلاق، أبي الفتوح والمغازي، السلطان محمود خان الغازي... في شهر جمادى الآخرة لسنة ستٍّ وأربعين خلت من هجرة خاتم النبيين، وأنا أضعف الكتّاب وأحوجهم إلى المغفرة السيّد الحاج محمد المعروف بشَكر زاده».
- مصحف مغربي في محفظة جلدية كبيرة خاصة به معدّة لأن تكون كل صفحة من المصحف منفردة ورقةً ورقةً من دون جمعها معاً.

لا تأمن عمرك ولو ساعة، هل جعلت وصيةً أو وقفاً؟ قال: أريد أن أجعل لهما مكاناً خاصاً، ولا يباع منهما شيء، وقد حفزتني بكلامك إلى التعجيل بهذه الخطوة.. أنا لا أطمئنّ إن لم يبقَ تراثي عندي، وقد عُرضت عليّ عروض كثيرة من أناس جزاهم الله خيراً قالوا: هات مكتبتك وتراثك ونحن نوفّر لك مكاناً مناسباً لحفظه.. ولم أقبل؛ فأنا كما ذكرتُ لك لا أطمئن إلا وكتبي عندي، وأنا أعمل على تجهيز مكان في بيتي هذا يكون متحفاً ومكتبة.

بدأ أبو سيبويه بجمع الكتب والقراءة في الخامسة عشرة من عمره، يعني سنة ١٣٨٠هـ تقريباً. ومن أقدم ما اقتناه من الكتب مجموعة من مصنّفات الخواجة نصير الدين الطوسي من مطبوعات حيدر آباد سنتي ١٣٥٨ و١٣٥٩هـ.

ومكتبته موزّعة على أدوار بيته الثلاثة، التي تختلط فيها طوابع البريد بالمتحجّرات من أشجار، وأسماك، وقواقع، وحشرات صغيرة، وتماثيل، وغير ذلك من التحف، إضافةً إلى الكتب التي يصل عددها إلى نحو عشرة آلاف مجلد. والغريب في أمره أن شراءه الكتب من الداخل، ولم يسبق أن سافر لشراء كتب من خارج المملكة، فينتهز فرص وجود معارض الكتب في الظهران، ثم الرياض، وفي زياراته الحرمين الشريفين.

وفي هذا الإطار يقول أبو سيبويه: من عاداتي القديمة الملازِمة لي (المقايضة)، أو سمّها هواية، ولم أعرف في حياتي بيع شيء من مكتبتي ولا تراثي مهما كانت ظروفي، وقد أفادتني كثيراً في تكوين هذه المكتبة والمتحف كتاباً بكتاب، أو أعطي كتباً وأحصل على تحفة، ولا أقايض إلا فيما يستحقّ، وقد مرّ عليّ



زمن آخذُ تحفاً وتراثاً وأعطي كتباً؛ فالكتب ممكن أن تعوَّض، وقد مرّ زمان علينا كانت فيه الورقة من كتاب أعزّ من الكبريت الأحمر، وقبل ثلاثين سنة وأكثر توافرت الكتب وزالت الندرة.

ويقول بشأن استقبال الزوّار في متحفه، وإعارة كتبه: «هذا قليل جداً، وقد بذلت كتبي إعارةً لمن أثق بهم، لكن كان كقول أبي الطيّب:

وصرت أشكّ فيمن أصطفيه

لعلمي أنه بعض الأنام

فمن أخذ من كتبي إعارةً لم يُعد ما أخذ مع الأسف الشديد، وقد استعار أحدهم من عندي كتابين عن العراق وحكوماتها، ومضت سنة ونصف السنة ولم يُعدْهما بعد، وسألته عنهما، فكأنه يخاطبني بلا سمع ولا بصر، فأصبحت أخاف من الإعارة. وعلى الرغم من هذا الموقف وغيره ما زلتُ أرى أنه ليس كل الناس سواءً؛ فإذا وجدت من أثق به من المقربين أو الأبعدين فلن أبخل عليه على الرغم من تجاربي السابقة في فَقْد الكتب في الإعارة».ومن المخطوطات الأصلية عنده:

- شرح حكمة العين، لشمس الدين مبارك شاه البحراني، في ١٤٨ ورقة من ورق أشبه بالرّق الصقيل، بالحرف الأسود ورؤوس موضوعاته بالحبر الأحمر، كتبه السيّد خضر بن جميل العطّار للسيّد محمود الآلوسي الشافعي (مفتي بغداد، صاحب التفسير)، وفرغ من كتابته في ٢٨ رمضان سنة ١٢٣٧هـ. هذا المخطوط كان ببغداد، وانتقل إلى نيويورك، واشتراه أحدهم من هناك، ثم اشتراه أبو سيبويه منه.
- تتمة الحواشي في إزالة الغواشي، شرح الجلالي على العقائد العضدية.

لقد كانت زيارتي قصيرة جداً لعاشق التحف محمد علي الناصر (أبي سيبويه)؛ فلم تكفِ عرض كلّ مقتنياته أو أهمها، فكانت نظراتي عشوائية مذبذبة أردتُ أن أسأله عن أشياء كثيرة، لكن الوقت لم يسعفنا، فضلاً عن حرارة أغسطس والرطوبة الخانقة وقتها؛ لذلك توقفنا وقفات يسيرة مع بعض التحف الأثرية[٣]:

- ساعة أثرية لا اسم لها عند صاحبها، وقد سمّيتها (ساعة المنحنى). هذه الساعة حاول شراءها من أبي سيبويه مدير أحد البنوك -كما ذكر لي- قال له: «تريد فيها خمسين أو ستين أو سبعين ألفاً سأعطيك»، وأردف: «أنا دارس للفيزياء، ولا أدري ما التقنية التي استُخدمت في صُنع هذه الساعة». فاعتذر له، وهي عنده من أثمن التحف.

ثم أخذ في وصف هذه الساعة مستمتعاً بوصفها: «الساعات عادةً لتعمل إما أن تشحن بالكهرباء، وإما أن تكون فيها بطارية، أو يكون فيها مفتاح للتتريس (الشحن اليدوي). وهذه الساعة مصمتة لا شيء فيها من ذلك، إنها ساعة دائرية الشكل تُوضع في أعلى منحدر مخصّص لها، ومن الثابت فيزيائياً أن أيّ شيء دائري (أو كروي) تضعه في أعلى أيّ منحدر أملس (سواء من زجاج أم من خشب أم من حديد) فإنه ينحدر بسرعة، لكن هذه الساعة ما إن تضعها في أعلى منحدرها فإنها ستعمل (ولا تعمل إلا وهي على المنحدر المخصّص لها)، وتبدأ بالانحدار تدريجياً بشكل غير ملحوظ كأنها ثابتة إلى أن تصل إلى أسفل المنحدر ويوقفها حدّه، أو

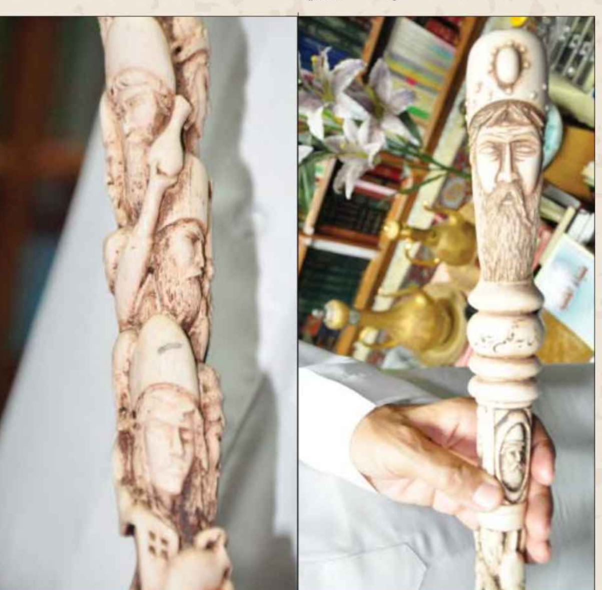
الساعة العجيبة في مكتبة أبي سيبويه



يوقفها أيّ شيء يمنعها من الانحدار؛ فهي تعمل بحسب طول المنحدر، وكلما طال المنحدر طال الزمن الذي تعمل فيه، ليوم أو يومين في منحدرها الذي يصل طوله إلى ٥٠سم، أو لسنة أو سنتين تبعاً لطول المنحدر، وتتوقف بمجرد أن يردّها شيء، أو ينعدم الانحدار، أو ترفعها بيديك. فهذه الساعة تعمل عقاربها اعتماداً على حركة الساعة نفسها».

- العصا القاجارية: هي عصا مصنوعة من العاج في ١٢٧٩/٢/١٢ شمسية، رُسم عليها بنحت بديع جميع الملوك القاجاريين وبعض النساء بيد الفنان الفارسي بيمان بنجارا برسال، اشتراها أبو سيبويه قديماً من متحف في الدمام بثلاثة آلاف ريال.
- الخاتم التاروتي: وهو خاتم على شكل رأس ماعز، وعيناه من الفيروز، وهو مستخرج من الحفريات القديمة في جزيرة تاروت.
- قنينة زجاجية حمراء من العهد الفاطمي اشتراها من العراق قبل أكثر من عشرين سنة.

عصا الملوك القاجاريين





مكتبة الشيخ عبدالحميد الخطّي

الشيخ عبدالحميد الخَطّي -رحمه الله- قاضي القطيف مدة سبع وعشرين سنةً، من سنة ١٣٩٥هـ حتى وفاته سنة ١٤٢٢هـ، وهو رائد الشعر القطيفي المعاصر، له مجموعة دواوين مطبوعة، وكان رجل علاقات واسعة، وتواصل دائم مع المثقفين والأدباء شيعةً وسنّةً، مسلمين ومسيحيين.

أوقف الشيخ مكتبته الواقعة في مدينة القطيف وقفاً عاماً سنة ١٤٢١هـ. وجعل القيّم عليها زكي بن عبدالكريم الخنيزي - زوج ابنة الشيخ عبدالحميد وابن عمه - «على أن ينتفع بها المؤمنون قراءةً يومي الخميس والجمعة، ويكون ذلك بحضور الولد البار زكي بن الشيخ عبدالكريم الخنيزي، والاستعارة ممنوعة، وذلك قربةً لله تعالى قابل القربات، ومضاعف الحسنات، وغافر السيئات، ويكون ذلك وقفاً مؤبّداً حتى يرث الله الأرض ومَن عليها وهو خير الوارثين، وحرّر في يوم الاثنين ١٤٢١/١٢/٢٣هـ».

استقبلني الأستاذ علي بن زكي بن عبدالكريم الخنيزي (ابن القيّم على مكتبة الشيخ عبدالحميد)، والأستاذ جهاد الخنيزي، وتفضّلا بإطلاعي على مكتبة تضمّ نحو ٢١٦٥ مجلداً، أغلبها من نوادر الكتب.

والمكتبة متاحة للروّاد من العصر إلى المغرب يومي الخميس والجمعة، وتُتاح بأوقات أطول استثناءً للباحثين المتخصّصين ولو

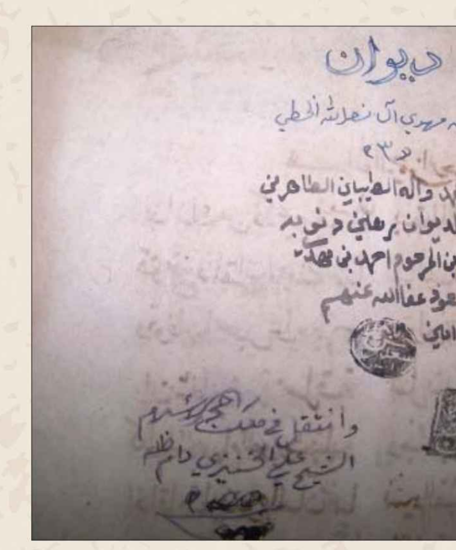
مخطوطات نادرة

أهم مقتنيات مكتبة الخطي نسخة مخطوطة أصلية من (ديوان الحاج أحمد الخَطّي آل نصر الله)، ولم يطبع هذا الديوان بعد، ويقع في أربعة مجلدات كبار، ويعود تاريخ المخطوط إلى سنة ١٣٢٨هـ، وخطّه جميل جداً بخط ناسخه منصور بن علي بن عبدالرحيم بن علي بن عبدالرحيم آل حجّي أهل سيهات، وعليه تملّك كُتب فيه: «قد مَلَكَ هذا الديوان رهين ذنوبه الأقل حسن بن المرحوم أحمد مهدي آل أبي السعود غفر الله عنهم أجمعين»، وتزوّدت أسرة آل نصر الله بصورة من هذه المخطوطة.

- طبعة حجرية لأحد الكتب الفقهية للطوسي شيخ الطائفة، دخلت في مُلك الزعيم علي بن حسن علي آل الخنيزي القطيفي الخَطّي سنة ١٣١٨هـ، ثم لعبدالحميد الخَطّي في ١٣٨٨/٩/١٨هـ.

وأكثر من هذه الكتب ندرة مجموعة من الكتب التي درسها عبدالحميد الخَطّي في شبابه، ويعود تملّكه لبعضها إلى سنة ١٣٥٥هـ، ومنها:

- طبعة حجرية من (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) لابن



في باقي أيام الأسبوع، ولا إعارة للكتب تنفيذاً للوقفية. والحقيقة أن الوقت المذكور ضيّق جداً لا يفي بالغرض من الوقف، ولعله لهذا لم أجد لدى القطيفيين ذكراً واسعاً لهذه المكتبة.

والمكتبة متنوعة، وتضم مجموعة من نوادر الكتب والمطبوعات الحجرية كما ذكرتُ، ومن تلك الكتب:

- طبعة حجرية من (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة) ليوسف البحراني، تملّكها في ١٣٦٣/٩/١٣هـ.
- طبعة حجرية من (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) في الفقه، لمحمد حسن الجواهري النجفي، وقد حازها عبدالحميد الخَطّي في ٢٣ جمادى ١٣٦٤هـ.

هشام، دخل في مُلكه في ١٧ شوال سنة ١٣٥٥هـ.

- طبعة حجرية من (شرح النظّام في علم الصرف) للحسن بن محمد النيشابوري، تملّكها عبدالحميد الخَطّي سنة ١٣٥٦هـ إهداءً من والده علي الخنيزي، الذي تملّك الكتاب أصلاً سنة ١٣١١هـ. ودرس عبدالحميد (شرح النظّام) في النجف التي بقي فيها ثماني سنوات للدراسة.
- (شرح ألفية ابن مالك) لابن النظّام، تملّكه في ١٣٥٧/٢/٣هـ هبةً من والده في النجف الأشرف، وهو مطبوع سنة ١٣٤٢هـ.
- (المطوَّل على التخصيص) للتفتازاني، تملّكه في ١٣٥٨/١٢/٢٠هـ.

مكتبة الشيخ عبدالقادر أبو المكارم (مكتبة الإمام محمد بن الحسن)


العددان ٤٣٣-٤٣٤ / رجب - شعبان ١٤٣٣هـ

تفصح كلمات الشيخ عبدالقادر أبو المكارم وملامح وجهه عما في قلبه من سماحة وطيب، وهو اليوم في السبعين من عمره، وقد فَقد والده وهو في الثانية من عمره، فانتقلت العناية به إلى أخيه الأكبر الشيخ سعيد وأخواله.

لقد بدأ عشق أبي المكارم الكتاب في سنة ١٣٧٩هـ وهو في السابعة عشرة من عمره؛ إذ نشأ في أسرة علمية كان لها أكبر الأثر في نفسه في الاتجاه إلى الكتاب؛ فوالده طالب علم معروف وصاحب منبر. وكان أثر أخويه الكبيرين الشيخ عبدالمجيد والشيخ سعيد في حياته الثقافية كبيراً جداً؛ فبدأ بتكوين مكتبة في مدينته العوامية تضم قرابة ٥٠٠٠ عنوان، وأتاحها لكلّ مستفيد، ونصب ميكروفوناً على بيته وأعلن منه: «مَن أراد أن يستعير كتاباً ينتفع به في دينه ودنياه وأخراه فليأتِ منزلنا»، فكان أول من يضع الميكروفون على منزل في العوامية.

وتعدّدت رحلاته لشراء الكتب من مكتبة المتنبي في الدمام، ومن مكة والبحرين وسورية والعراق، وتولّى وكالة توزيع بعض الكتب في القطيف التي تصله من الخارج، ومن ذلك كتب سلسلة (منابع الثقافة الإسلامية) التي كانت تصدر في كربلاء قبل حكم صدام، وهي سلسلة كتب علمية ثقافية تبحث في الشؤون الإسلامية، فتصله كتبهم لتوزيعها في المنطقة، وفي مكتبته اليوم مجموعة من أقدم الكتب التي يمتلكها من سلسلة (منابع الثقافة

مصادر المدائح النبوية

من أهم مزايا مكتبة عبدالقادر أبو المكارم أنها تضم مصادر المدائح النبوية التي جمعها أبو المكارم من بطون الكتب، وأكثر من أربعمئة شريط (كاسيت) تضم مدائح نبوية بأصوات شعرائها بالتلقّي المباشر منهم، ومن طريق الإذاعات، ومن هذا كله أخرج أبو المكارم موسوعة كبيرة عنوانها: (موسوعة المدائح النبوية) في عشرين مجلداً، وقد استغرق العمل في هذه الموسوعة أكثر من ثمانية عشر عاماً من العمل الشاق.

يقول أبو المكارم عن جمعه المضني مادة كتابه (موسوعة المدائح النبوية): «لم يكن بحثي مقتصراً على الكتب والدواوين فقط، بل تعدى إلى الصحف والمجلات والإذاعات والتلفاز. ولقد فكّرت مراراً في الاستمرار بالجمع، لكن تشجيع الإخوة الأحبة الأعزة الذين كانوا يسألون دائبين أن أخرجه إلى حيّز الظهور دفعني وحفزني إلى ختم الكتاب وجعله إلى هذا الحد، وإن كان في العمر بقية، وحصلت على المزيد من المديح، الذي لا ينتهي ما دام هناك عرق ينبض بالحب في قلب كلّ شاعر لنبيّه نبي الرحمة، فسأقوم بوضعه في كتاب ملحق إن شاء الله العليّ القدير».

الإسلامية)، وتعود سنوات تملّكه إياها إلى سنوات صدورها في سنوات ١٣٨٣ و١٣٨٤ و١٣٨٥هـ.

وكان من هوايات عبدالقادر أبو المكارم المبكرة تسجيل الخطب والمحاضرات والزواج والتأبين؛ حتى كوّن لنفسه مكتبة سمعية جيدة، ومن تلك التسجيلات محاضرات قديمة للشيخ محمد أمين زين الدين الأحسائي، والمرجعين الشيرازي والخاقاني، والشيخ فرج العمران، وغيرها مما كان يسجّله بنفسه. ويعمل الأستاذ عدنان أكبر أبناء الشيخ عبدالقادر على تحرير تلك المحاضرات في كتاب بعنوان: (مكتبة أبي عدنان السمعية).

هذه إطلالة يسيرة على بعض المكتبات القطيفية الخاصة التي استطعت الوصول إليها، ولأصحاب تلك المكتبات أجزل الشكر على استقبالهم الكريم إياي على ضيق أوقاتهم حينها، ولا أنسى الفنان التشكيلي عبدالعظيم الضامن وابنته فاطمة، اللذين أسعداني برفقتهما في تلك الزيارات، وأتمنى أن يتصدّى أحد الأحبة القطيفيين لعمل ميداني توثيقي في كتاب يرصد المكتبات القطيفية الخاصة مشاهدةً فاحصةً وليس بالسماع، وهي كثيرة تستحقّ العناء، ومثله آخر للمتاحف القطيفية الخاصة؛ فأهل مكة أدرى بشعابها.



الحواشي



(١) من سوانح الذكريات، ٢/٧٩٦، ٧٩٧.

(٢) انظر: مجلة الفيصل، العددين ٤٢٣- ٤٢٤، رمضان- شوال ١٤٣٢هـ، ص٢٦-٣٧.

(٣) بسبب هذه التحف ضيّع عليّ أبو سيبويه إفادته بشأن اسم (مضر) الذي يلفّ مدينة القديح لفًّا؛ فيندر أن تجد محلاً تجارياً بمختلف أنواع التجارة لا يحمل اسم (مضر)، وكذلك مستوصف مضر، ونادي مضر، وجمعية مضر، وغيرها. فلعلي أدعوه هنا إلى إفادة عامة لقرّاء الفيصل، وله منظومة في هذا الشأن حسبما سمعتُ.

السبب «البجه بوش»



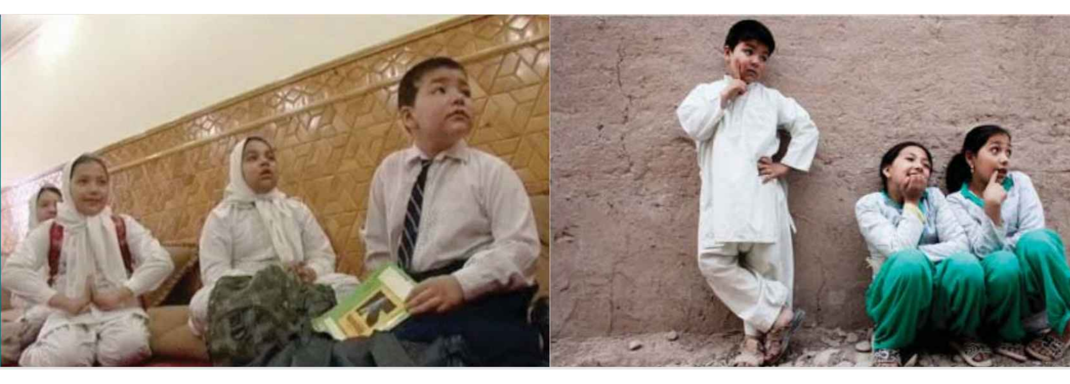
بنات في الجوهر وأولاد في المظهر

يرغب كثير من الآباء والأمهات الأفغان في إنجاب ولد ذكر لأسباب اقتصادية واجتماعية. وقاد هذا التفضيل بعضهم إلى اللجوء إلى ممارسة تقليد موغل في القدم، يسمى (بجه بوش)، وهو حلق رؤوس البنات وتمويههن في هيئة أولاد ذكور.



محمد العثمان
الرياض – السعودية

ويعدّ هذا التقليد إحدى وسائل التكيف مع البيئة الاجتماعية الجامدة؛ إذ إن إنجاب ذكر ضرورة حتمية لأيّ أسرة ترغب في أن



الفتاة مهران في هيئة ولد، وبجوارها شقيقتاها التوأم بنافشا وبهيشتا

مهران مع شقيقاتها الثلاث

تحوز على المال أو المكانة الاجتماعية. ويصبح جميع أفراد العائلة وزملاء الدراسة والمعلمون جزءاً من هذه الحيلة، ويعاملون الفتاة على أنها صبيّ حتى بعد اكتشاف جنسه الحقيقي. ويواجه كثيرات من الفتيات متاعب جمة في العودة إلى أصلهن بوصفهن إناثاً بعد بلوغهن سنّ الحلم، بل منهن من تزهد في الزواج، وتواصل حياتها رجلاً. عن هذه الظاهرة، وأسبابها، وتداعياتها، يدور الحديث في الأسطر الآتية.

مهرنوش تتحول إلى مهران

عندما تقوم أزيتا رفعت، وهي عضو سابق في البرلمان الأفغاني، بتجهيز بناتها للمدرسة فإنها تجعل كل واحدة منهن ترتدي زياً مغايراً؛ فثلاثة منهن يرتدين ثياباً وأغطية رأس بيضاء، أما الفتاة الرابعة، واسمها مهرنوش، فإنها ترتدي بدلة وربطة عنق. وعندما يخرجون لقضاء أوقات خارج المنزل فإن مهرنوش تخرج في هيئة ولد حليق الرأس يسمى (مهران).

ولم تنجب أزيتا رفعت ولداً ذكراً، ولكي تسد هذا الفراغ، وتتفادى شماتة الآخرين، فإنها لم تجد بداً من اللجوء إلى هذا الخيار المتطرف الذي يُسمى بالأفغانية (بجه بوش)؛ أي: تغيير هيئة البنت إلى ولد حليق الرأس. وتقول: «عندما تكون لك مكانتك في أفغانستان، وتتمتع بقدر من الثراء، فإن الناس ينظرون إليك بطريقة مختلفة، ويقولون: إن حياتك تكتمل إذا كان لديك ابن».

ويظلّ تفضيل الولد الذكر قائماً في أفغانستان لأسباب اقتصادية واجتماعية. ويرى عزت الله رفعت زوج أزيتا أن إنجاب الابن يعني الوجاهة والعزّ والشرف وعلو المكانة، ويقول: «كل من يأتي إلى منزلنا يقول: إننا آسفون لأنك لم تنجب ابناً. لذا رأينا أنها فكرة مناسبة في تنكير ابنتنا، خصوصاً أنها ترغب في ذلك أيضاً».

وليست أزيتا الأم الوحيدة التي قرّرت اللجوء إلى ممارسة البجه بوش؛ لأنك تجد كثيرات من الفتيات المتخفيات في شكل أولاد ذكور في الأسواق والأماكن العامة. وتلجأ بعض العائلات إلى تنكير بناتهن على هيئة أولاد ذكور؛ حتى يتمكّن من ممارسة أعمالهن في الشوارع لإطعام أسرهن؛ إذ تقوم الفتيات اللواتي يقدمن أنفسهن على أنهن أولاد ذكور ببيع الماء والعلكة، وتراوح أعمارهن عادةً بين خمسة أعوام و١٢ عاماً.

فتيات بلا أنوثة

لكن الفتيات اللواتي يترعرعن كصبيان لا يبقين على هذه الهيئة طوال حياتهن؛ فعندما يبلغن سنّ ١٧ و١٨ عاماً فإنهن يعُدْن تارةً أخرى إلى ممارسة حياتهن بوصفهن إناثاً. ومن هؤلاء الفتاة إيلاها، التي تعيش في مزار الشريف بشمال أفغانستان؛ فقد عاشت إيلاها حياتها كصبي طوال ٢٠ عاماً؛ لأن أسرتها لم تنجب ولداً ذكراً، ثم عادت منذ عامين إلى هيئتها بوصفها أنثى عندما اضطرت إلى الالتحاق بالجامعة.

غير أن إيلاها تقول: إنها لا تشعر أنها أنثى، وإن عاداتها لا تشبه الإناث، ولا ترغب في الزواج، وتضيف: «عندما كنت صغيرة نكّرني والداي في هيئة ولد؛ لأنه لم يكن لي شقيق. وكنت حتى الآونة الأخيرة أخرج كولد، وألعب مع الصبيان، وأتمتع بقدر كبير من الحرية».

وعادت إيلاها مُكرهةً إلى حظيرة جنسها الأصلي، وتقول: إنها فعلت ذلك تقيّداً بالتقاليد الاجتماعية، لكنها تضيف قائلةً:

«إذا أرغمني أبواي على الزواج فإنني سأعوّض عن ذلك بالانتقام عن كل المظالم التي طالت النساء الأفغانيات، وسأضرب زوجي بشدة إلى أن يأخذني إلى المحاكم كلّ يوم».

ويقول عتيق الله أنصاري إمام جامع مزار الشريف: «إن العائلات التي لم تنجب صبياناً تنكّر بناتها في شكل أولاد؛ تفاؤلاً بإنجاب طفل ذكر؛ لذلك تكثر مثل هذه القصص في أفغانستان؛ إذ إن لكلّ شخص قريباً أو جاراً لجأ إلى ممارسة تقليد البجه بوش».

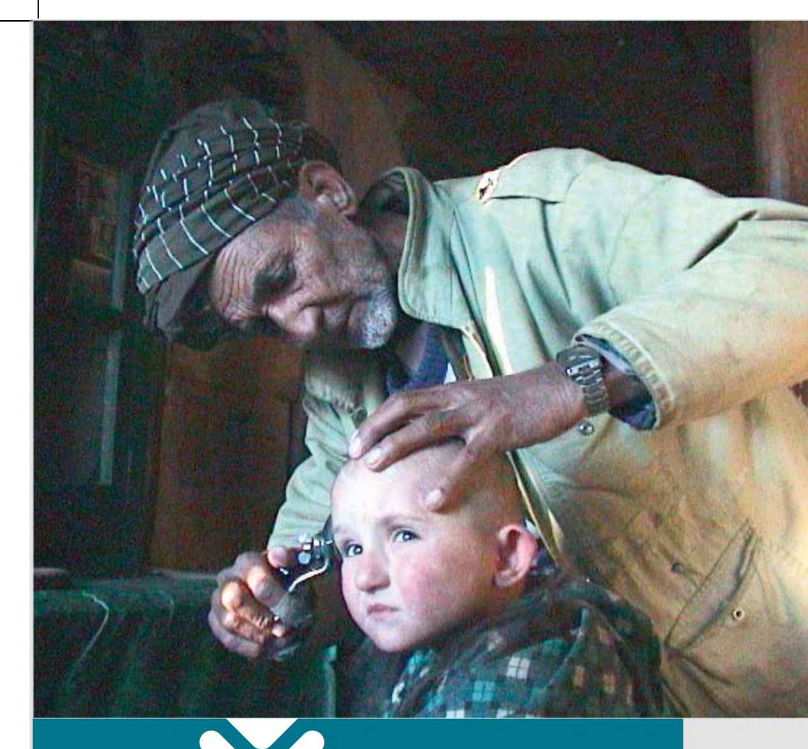
الرجولة تنمي الثقة بالنفس

وكانت فريبا ماجد -رئيسة شعبة حقوق النساء في إقليم بالخ بشمال أفغانستان- قد عاشت وهي تحمل اسم (وحيد)، وتقول: «كنت الابنة الثالثة في أسرتي، وعندما خرجت إلى الحياة قرّر والداي إخفائي في هيئة ولد. وكنت أعمل في متجر والدي بهذه الصفة، بل كنت أسافر إلى كابول لشراء البضائع من هناك». وتقول فريبا: إن التجربة أكسبتها ثقةً بنفسها، وساعدتها على الوصول إلى ما وصلت إليه اليوم. وليس هناك ما يدهش في أن أزيتا رفعت -والدة مهران- عاشت باكورة حياتها كصبي، وكانت تعمل مع والدها، فهي تقول: «عايشت كلاًّ من عالمي الرجال والنساء، الأمر الذي مكّنني من أن أصبح أكثر طموحاً في مجالي المهني».

ملك النساء

هناك أيضاً السياسية الشهيرة بيبا حكمينا، التي تفخر بأنها قضت كل حياتها كرجل، بل لا تغادر منزلها إلا وهي تحمل بندقيتها

تنكّرت حكمينا في هيئة رجل منذ الغزو السوفييتي لأفغانستان في عام ١٩٧٩م، وكان عمرها آنذاك ١٠ سنوات، وخاضت الحرب ضد السوفييت في صفوف الرجال، وعملت مخبرة



انتهاك للحقوق

يقول داود راويش؛ عالم الاجتماع في كابول: إن هذا التقليد موجود في أفغانستان منذ قرون كثيرة، وربما نشأ عندما كان على الأفغان أن يتصدوا للغزاة، ولهذا كان لابد من تنكير النساء في هيئة رجال. غير أن كازي سيد محمد سامي - رئيس منظمة حقوق الإنسان في بالخ - يصف هذه الممارسة بأنها انتهاك لحقوق الإنسان، ويوضح قائلاً: «إنك لا تستطيع تغيير جنس المرء مدةً ما في حياته، إن هذا ضد الإنسانية».

ولهذا التقليد آثار مدمرة في بعض الفتيات اللواتي يشعرن بأنهن فقدن ذكريات طفولة مهمة جداً، بجانب فقدانهن هويتهن بوصفهن إناثاً. أما بالنسبة إلى أخريات، فقد كان التقليد تجربةً انطوت على قدر كبير من حرية ما كانت ستتوافر لهن إذا ما عشن كإناث. أما بالنسبة إلى كثيرين، فإن السؤال الذي يطرحونه هو: هل سيأتي يوم تحصل فيه الفتيات الأفغانيات على القدر نفسه من الحرية والاحترام الذي يحظى به الأولاد الذكور؟!.

طراز الكلاشنكوف، وتمّ ترشيحها مؤخراً لعضوية مجلس محلي إقليمي في بلدتها خوست. واسم حكمينا على كل لسان؛ فهي على نقيض النساء الأفغانيات ترتدي قميصاً رجالياً يصل إلى الركبة، وبنطالاً واسعاً، وعمامة سوداء؛ لذلك نادراً ما يستطيع الناظر تمييزها من الرجال الآخرين عندما تخالطهم في مجالسهم بصحبة والدها. وتقول حكمينا عن نفسها: «أشعر بأنني رجل؛ لأن عاداتي رجولية، ولم أشعر قط بأنني امرأة»؛ لذلك زهدت في الزواج.

وتنكّرت حكمينا وهي في الأربعينيات من عمرها حالياً في هيئة رجل منذ الغزو السوفييتي لأفغانستان في عام ١٩٧٩م، وكان عمرها آنذاك ١٠ سنوات، وخاضت الحرب ضد السوفييت في صفوف الرجال، وعملت مخبرة، وكانت تنظم خطوط إمدادات الطعام والدواء، بل الأسلحة أيضاً، للمقاومة الأفغانية. وتطلق حكمينا على نفسها لقب (ملك النساء)، وتستخدم وضعها السياسي لخدمة الأفغانيات، ومنع بيع الفتيات عرائس بأثمانٍ باهظة لفضّ المنازعات بين العشائر، وإتاحة الفرصة للمزيد منهن للالتحاق بالمدارس، ومساعدتهن على الحصول على كامل حقوقهن بلا حاجة إلى أن يتشبّهن بالرجال في مجتمع يبدو فيه الرجال والنساء كأنهما آتيان من كوكبين مختلفين.

خياران أحلاهما بطعم الحنظل

تعدّ البجه بوش واحـدةً من طرائق التكيف مع البيئة الاجتماعية الجامدة التي ترغم بعض الفتيات على التنكّر في هيئة الذكور. وتنتهي عملية الإخفاء في سنّ البلوغ؛ فيتم إرغام الفتاة المتخفية في هيئة ولد على أن تتحول إلى فتاة مرةً أخرى بين عشية وضحاها. وهكذا يتحول عالم الحرية غير المحدود الذي يتمتع به الرجال إلى تلك الأغلال غير المرئية التي تطبع حياة المرأة الأفغانية. ولعل أقسى جانب في هذا التحول من ولد إلى فتاة هو التغير السلوكي الذي يقتضيه؛ فبعد تعلّم مواجهة العالم بنظرة ولد أفغاني جريء يصبح المطلوب منها أن تتحول بين عشية وضحاها إلى فتاة خجولة تشيح بعينيها بعيداً في تصرف ينمّ على عفاف أنثوي. وتتحدث النساء اللواتي كنّ ذات يوم يرتدين ملابس الذكور عن الضرر النفسي الذي حاق بهن من جراء تغيير جنسهن ظاهرياً.

وإذا كانت الوجاهة أحد الأسباب وراء ظاهرة البجه بوش فإن الفقر والبحث عن الأمان أيضاً يجعلان الأسر تلجأ إلى هذه الممارسة؛ لأن كثيراً من العائلات التي لم تنجب الأولاد الذكور تجد نفسها أمام خيارين أحلاهما غاية في المرارة؛ فمن جهةٍ يرقى السماح لبناتهن بالعمل بائعات متجولات في الشوارع إلى مستوى فقدان الاستقامة الأخلاقية، ومن جهة أخرى فإن الأسرة تكون بحاجة ماسة إلى المال، وهذا الأمر لا يترك لهن خياراً سوى الدفع ببناتهن إلى العمل؛ لذلك تجد أن معظم الباعة في الشوارع الأفغانية بنات متخفيات في هيئة صبيان ذكور.

وسعت منظمات حقوق الإنسان والنساء الأفغانية إلى انتقاد ممارسة البجه بوش؛ لكونها لا تندرج في إطار معاداة المرأة فحسب، بل تأتي أيضاً انتهاكاً صارخاً لحقوق الفتيات في أن يكنّ إناثاً، غير أن إيجاد حلّ لهذه المعضلة مازال بعيد المنال.

> الفتيات اللواتي يترعرعن كصبيان لا يبقين على هذه الهيئة طوال حياتهن؛ فعندما يبلغن سنّ ١٧ و١٨ عاماً يعدن تارةً أخرى إلى ممارسة حياتهن بوصفهن إناثاً

ملك النساء بيبا حكمينا



الـرحـلات مـن أوسـع أبـواب المعرفة الإنسانية، والكتابة عنها إحياء لفنّ عربي قديم تقاعس كثير من الأدباء في هذا العصر عن إحيائه والاهتمام به بعد أن كـان أسلافنا هـم أصحابه وروّاده وأربابه. ولقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقّفي العالم قديماً وحديثاً، وعُني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ.

Paris





من أدب الرحلات

ما بين قصر فرساي ومتحف اللوفر ومعهد العالم العربي في باريس

عبدالله بن حمد الحقيل
الرياض – السعودية



يحتوي متحف اللوفر على تراث عالمي وعلى مجموعة من أثمن كنوز العالم على الإطلاق



والرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية لكشف المجهول، والوصول إلى الغاية، ومعرفة الحقيقة، والاطلاع على المعالم والآثار، والاستمتاع بمشاهد التاريخ، ومعالم الحضارات، ومظاهر الحياة وما تزخر به من جبال ووهاد وبحار وأنهار وأنساب ونبات. ولقد تيسّر السفر والانتقال في هذا العصر، واستطاعت وسائل الإعلام بتقنياتها الهائلة أن تجعل من العالم قريةً صغيرةً وكتاباً مفتوحاً لأغلب شعوب الأرض. وما زالت الرحلات إلى يومنا هذا مصدراً لتعرّف أحوال الأمم وثقافات الشعوب؛ فهي مصدر للمؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع، ولقد قيل:

سفر الفتى لمناطق وديار
وتجول في سائر الأمصار
علم ومعرفة وفهم واسع
وتـجـارب وروايــة الأخـبـار

وللرحلات أثر علمي كبير في تدوين ثقافات الأمم وحضاراتها.

وفي صيف سنة ١٤٢٧هـ قمتُ برحلة إلى فرنسا، وهي بلاد حافلة بالمعالم الشهيرة، والمتاحف، والمكتبات، ومؤسسات الثقافة، ودور الفنون، والجامعات، ونهر السين، والمباني التاريخية، وينفرد كلّ منها بجماله وأناقته الأخاذة. بدأت الزيارة بمتحف اللوفر، الذي يحتوي على تراث عالمي، وعلى مجموعة من أثمن كنوز العالم على الإطلاق، مع أن القرون الثمانية التي عاشها حافظ فيها على تناسق رائع كقلعة حصينة بناها فيليب أوغست عام ١١٩٠م؛ لذا يُطلق عليه الفرنسيون متحف اللوفر الكبير. وقمتُ بزيارة قاعات المتحف، والتوقف بين لحظة وأخرى عند المعروضات التي نعتقد أنها أكثر جاذبيةً لكلّ واحد منا، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال لأي زائر استيعاب جميع المعروضات المتحفية، ولا بد من قراءة الأدلة التي يصدرها المتحف بلغات كثيرة عدا اللغة العربية، منها دليل موجز، ويشتمل على ما يقارب ٨٥٠ صورة مقرونة بمعلومات موجزة تغطّي المراحل التاريخية التي تمثّلها العروض المتحفية.

وفي هذا الصدد يقول رئيس متحف اللوفر في مقدمته لهذا الدليل: «إن الزائر يُفاجأ للوهلة الأولى بالحجم الكبير للمتحف وثرائه بالمجموعات المتحفية؛ فالمتحف يعدّ آلةً لا يتوقف وقتها بشكل غير طبيعي، ويتنقل الشخص من قاعة إلى قاعة، ويرتحل عبر القرون على امتداد الحضارات». لذلك فإن الدليل المطبوع يختصر الوقت للزائر والقارئ في آنٍ واحد؛ إذ ليس بالضرورة أن يشاهد الزائر كلّ شيء في المتحف، لكن الدليل يغطي كل شيء.

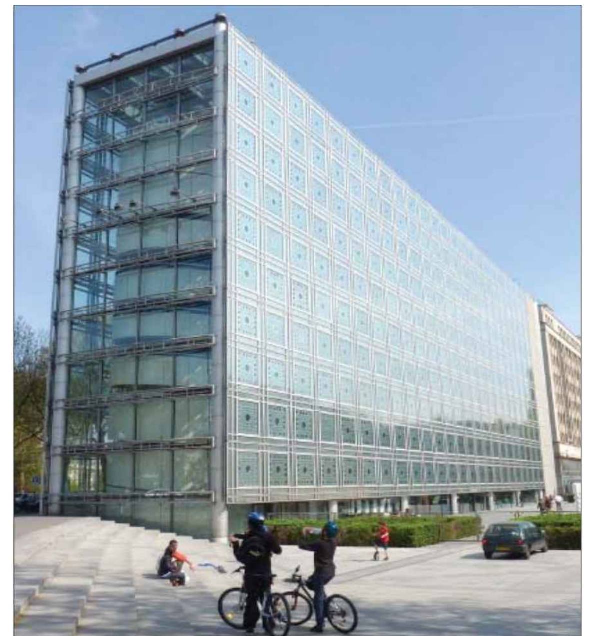
ويعود البناء المعماري لمتحف اللوفر إلى أواخر القرن الثاني عشر للميلاد، وتعاقبت على المبنى مراحل معمارية كثيرة من قبل ملوك فرنسا. ولعل من المشروعات التي بُدئ بتنفيذها هو إنشاء جناح كبير ليستوعب أكثر من عشرة آلاف قطعة نادرة من الفن الإسلامي تغطّي الحضارة الإسلامية عبر العصور.

ويتكون متحف اللوفر من أربعة طوابق: السفلي، والأرضي، والطابق الأول، والطابق الثاني. وتتوزّع في هذه الطوابق الأربعة قاعات العروض الرئيسة. ويحتوي البهو الرئيس للمتحف تحت الهرم الزجاجي على المرافق وخدمات كثيرة، منها: المركز الإعلامي، والخدمات المجانية، ومكاتب الحجوزات للزيارات الجماعية، ومركز المتحف على شبكة الإنترنت، وخدمات ذوي الاحتياجات الخاصة، وقاعة كبرى للمحاضرات، إضافةً إلى المكتبة، والمتاجر، والمستنسخات، والمقاهي، والمطاعم، ومرافق أخرى كثيرة. ومتحف اللوفر يستقبل الزوّار كل يوم عدا الثلاثاء، وبعض أيام العطل الرسمية. وقد خرجتُ من المتحف مردّداً قول الشاعر:

وإذا لم تَدْرِ ما قوم مضوا

فاسأل الآثار واستنبِ الديارا

يشتمل قصر فرساي القلعة والحدائق وبهو الأعمدة، ويصوّر المدى الذي وصل إليه الفن الفرنسي



ثم قمتُ بعد ذلك بزيارة معهد العالم العربي في باريس، الذي هو جسر بين الثقافتين العربية والفرنسية. ذهبت إلى مقرّ المعهد الواقع في أفخم أحياء باريس، وقد نُقشت مقولة الإمام علي بن أبي طالب «قيمة كلّ امرئ ما يحسنه» على مدخله. وكان في استقبالنا الدكتور مختار طالب بن دياب -مدير المعهد، وهو من الجزائر- فرحّب بهذه الزيارة، ووجدنا منه كلّ حفاوة وتقدير، ثم استدعى الأستاذ عدنان الشافعي مدير المكتبة، ومديرة المتحف، وهي سيدة فرنسية؛ للقيام معهما بجولة على أرجاء المعهد.

لقد تمّ بناء معهد العالم العربي في قلب باريس على أيدي عدد من المهندسين المعماريين، وشارك أحد المهندسين السعوديين في ذلك. ولقد استُوحي في تصميمه أسلوب العمارة العربية الإسلامية؛ فالصحن في قلب المبنى، وقاعة الأعمدة، يذكّران بالمسجد الجامع في قرطبة، وبرج الكتب في صدر المكتبة يستوحي المئذنة الشهيرة في سامراء بالعراق. والواقع أن جملة مبانيه عناصر تذكّر بالعمارة الإسلامية، ويتم الصعود بين طوابقه من خلال مصاعد شفافة. كما أن الثقافة الغربية شديدة الحضور في أكثر معانيها من خلال الأشكال والفضاءات، واختيار المواد التي يهيمن فيها الزجاج والفولاذ والأنوار والظلال. والمعهد محاذٍ لضفة نهر السين، ويواجه جزيرة سان لويس، التي يطلّ سطحها على منظر شديد الجمال، كما أن الواجهة الجنوبية تؤلّف شاشة تعكس باريس الحديثة.

ويعدّ المعهد مكان حوار بين الثقافتين العربية والغربية؛ فهو مؤسسة ثقافية لمعرفة العالم العربي، ولغته، وحضارته،

وجهده في التنمية، وفهمه، وتطوير دراسته وتعميقها، وتشجيع المبادلات الثقافية، والتواصل والتعاون بين فرنسا والعالم العربي، خصوصاً في مجال العلوم والتقنية، والإسهام في تطوير العلاقات بين العالم العربي وأوربا.

وخلال زيارتنا المتحف شاهدنا مجموعةً من التحف التاريخية؛ إذ يحتوي على ٦٠٠ قطعة يمكنها أن تسهم في فهم تاريخ العالم العربي في جوانبه المختلفة، وهناك قطع أثرية من بعض الأقطار العربية، وقد شاهدت عدداً من الزوار يتأملونها، ويستفسرون عن تاريخها.

كان معنا في زيارة المكتبة مديرها الأستاذ عدنان الشافعي، وقد حدثنا عن المكتبة ونشاطها؛ إذ تحتلّ ثلاث قاعات على ثلاثة طوابق تستقبل يومياً أكثر من ٦٠٠ قارئ، وتشتمل على ١٥٠ مكاناً للجلوس، وفضاء مخصّص لقراءة الصحف، و١٥ جهازاً للاستعلام، وإنترنت، وثمانية بنوك معلومات للمكتبة. وتضم كذلك ٨٥ ألف مجلد، نصفها باللغة العربية، ونصفها باللغات الغربية، خصوصاً الفرنسية. وسألته عما تتناول هذه الكتب، فقال: الدين، والأدب، والتاريخ، والفلسفة، وعلوم اللغة، والعلوم الاجتماعية في العالم العربي. كما تضم ١٥٠٠ دورية، مع ٣٢٠٠ مقالة مفهرسة، وكذلك ٤٠ صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية. وسألته عما تنشره المكتبة، فأفاد ببليوجرافيا وملفات وثائقية وعدة كتب، آخرها: الحصان العربي من الأمس إلى اليوم، وخمسون عملاً من روائع الأدب العربي، والأمير عبدالقادر، والأدب الفلسطيني المعاصر، وغيرها.

كما يُقام معرض الكتاب العربي الأوربي على باحة مبنى المعهد كلّ عامين، وتجتمع فيه ٢٥٠ دار نشر عربية وفرنسية وأوربية؛ لتقديم آخر منشوراتها في مجال الثقافة والحضارة العربية. وسألتهم عن دور المعهد من حيث تشجيع الثقافة العربية، فأفادوا بأن المعهد يدعو المبدعين في العالم العربي، ويوفّر لهم فرص تعرّف بعضهم إلى بعض وإلى الأدباء الغربيين، وتعرّف أعمالهم الثقافية، إلى جانب الحوار بين القيم الحضارية التي تتجسد في تعايش الثقافات.

ويوجد في المعهد منوّعات من الأنشطة، والمعارض، والأمسيات، والندوات الأدبية، والمؤتمرات، ومجلة ثقافية فصلية باسم (قنطرة) تهدف إلى بناء جسر بين العالم العربي والأوربي. ويستقبل كرسي المعهد كلّ ثلاثاء شخصيات عربية أو فرنسية أو أوربية من مستوى رفيع؛ للقيام بإلقاء سلسلة من المحاضرات تهدف إلى تقديم دراسة في مجال تاريخ العالم العربي ومجتمعه وثقافته، ويتم نشر هذه المحاضرات ضمن سلسلة كرسي معهد العالم العربي. وهناك المقهى الأدبي في كلّ يوم أربعاء وخميس؛ إذ تُعقد ندوات حول مختلف الموضوعات بحضور مؤلف يُدعى بمناسبة صدور كتاب أخير له.

وبعد أن أمضينا عدة ساعات في رحاب هذا الصرح العربي الشامخ أحسسنا أننا حاجة إلى الراحة، فتوجّهنا نحو قاعة الطعام في المعهد، وتناولنا طعام الغداء، ثم شكرنا المسؤولين في المعهد الذين غمرونا بلطفهم، وتفضّلوا علينا ببشاشتهم وكرم أخلاقهم؛ إذ سُررنا برؤية هذا المعهد في قلب عاصمة الثقافة والفنون.

أدب الرحلات أو السفرنامه هو نوع من الأدب الذي يصوّر فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان. وتعدّ كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية؛ لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، والتصوير المباشر؛ مما يجعل قراءتها غنيةً وممتعةً ومسليةً. ويمكن أن يندرج عدد كبير من الروايات والقصص بصورةٍ ما تحت اسم أدب الرحلات؛ فهذا الاسم الواسع قادر على استيعاب أعمال ابن بطوطة وماركو بولو وتشارلز داروين وأندريه جيد وأرنست همنجواي ونجيب محفوظ على الرغم من التباين الكبير بينهم؛ لأن الفكرة التي تجمعهم هي فكرة الرحلة نفسها؛ الرحلة الزمانية أو المكانية أو النفسية. وتندرج تحت اسم أدب الرحلات مجموعة كبيرة من الكتابات المختلفة في نواحٍ متعددة من حيث أسلوب الكاتب، ومنهج الكتابة، والغرض من الكتابة، والجمهور الذي يتوجّه إليه الكاتب، واهتمامات كلّ من الكاتب والجمهور، لكن هذه الكتابات تشترك كلها في أنها تصف رحلة يقوم بها شخص ما إلى مكان ما لسبب ما. وقد نشط أدب الرحلات على أيدي الجغرافيين والمستكشفين الذين اهتموا بتسجيل كل ما تقع عليه عيونهم، أو يصل إلى آذانهم، حتى لو كان خارج نطاق المعقول، ويدخل في باب الخرافة.

ويعدّ المعهد من أبرز سبل التواصل الحضاري والتبادل الثقافية بين المشرق العربي والعالم الغربي، وهو يسعى إلى تعميق دراسة العالم العربي، ومعرفته، وفهمه، من حيث لغته وحضارته وسعيه إلى التنمية، كما يضطلع بإحياء التراث الثقافي العربي عبر كل العصور من خلال أنشطته المتعددة.

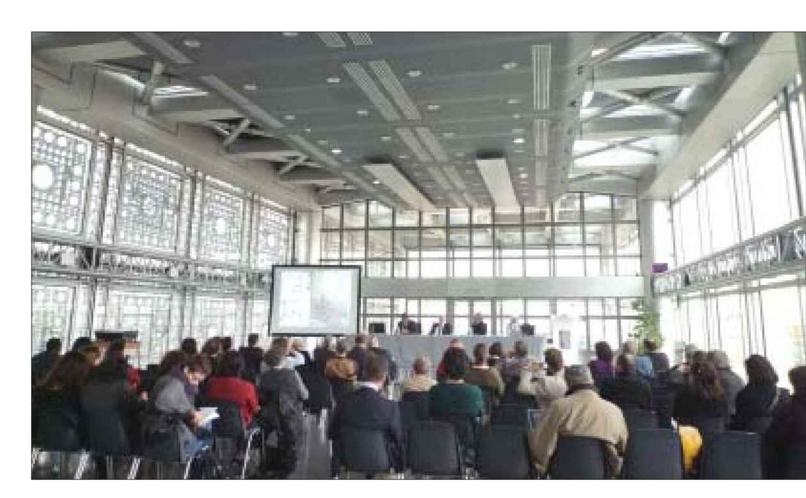
وفي الصباح توجّهنا بصحبة بعض الإخوان إلى قصر فرساي الساحر المفعم بالأبهة والبناء المزيّن بالرخام والذهب والكريستال، وكان الجو صافياً جميلاً، وكان الطريق ممتعاً؛ فقد حبا الله هذه البلاد بجمال طبيعي أخّاذ يسرّ الناظر، وينشرح له القلب، مردّداً قول الشاعر:

الأرض قد كسيت رداءً أخضرا

والطلّ ينثر في رُباها جوهرا

ولأهمية القصر التاريخية سأعطيك -أيها القارئ- لمحةً تاريخيةً إليه. يشمل قصر فرساي القلعة والحدائق وبهو الأعمدة، ويصوّر المدى الذي وصل إليه الفن الفرنسي؛ فزوّار هذا المكان منذ القدم يبهرهم فن المعمار، والديكورات، وروعة الحدائق؛ فهو من أعظم قصور ملوك فرنسا.

محاضرات أسبوعية لشخصيات رفيعة في معهد العالم العربي



كان هذا القصر في البداية جناحاً متواضعاً خُصِّص لرحلات الصيد، ثم جرى تحويله أولاً إلى مقرّ ريفي، ثم اتّسع كي يصبح قلعةً حقيقيةً تحيط بها الحدائق. وجرى استكمال القصر بعد ذلك ببناء مدينة؛ حتى تم اختياره في النهاية مقراً رسمياً للملك وبلاطه لإدارة شؤون البلاد. وقد قام الملوك الأربعة الذين حكموا فرنسا منذ عام ١٦١٠م إلى ١٧٨٩م بإحداث تغييرات كبيرة في القلعة، وما يُحيط بها من بيوت، كلّ بما يتّفق مع ذوقه ومفهومه لمعنى القصر وتاريخه. ففي الجناح الشمالي تمثّل غرف القرن السابع عشر مقدمةً لجولة بين الحجرات الرسمية يمكن الاستمرار بعدها إلى قاعة المعارك. أما الحجرات في الجناح الجنوبي، فقد خُصِّصت لعصر نابليون. ومع تجديد حجرات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تكتمل هذه البانوراما الضخمة لتاريخ فرنسا.

لقد ترك كلّ ملك من ملوك فرنسا بصماته على قصر فرساي، الذي أصبح يضمّ كنوزاً لا تُحصى لكل من الزائر المتلهف للمعرفة ومؤرّخ الفن؛ فالرائي يحسّ في قلعة لويس الثالث عشر بروح الفن في أواخر القرن السادس عشر، والفن الكلاسيكي في القرن السابع عشر؛ إذ تلمس التطور الرائع في الفن الفرنسي. وعلى الرغم من تنوّع الآثار التي خلفها سكان القصر بأذواقهم المتباينة فإن القصر يعطي انطباعاً متكاملاً شاملاً في الانسجام والتوافق الفني.

وسط هذا الجو عاش ملوك فرساي، وفي حدائق القصر ترى البساط الأخضر تتناثر عليه أحواض الأزهار ذات الألوان والنافورات المزخرفة. وبرزت أهمية فرساي عندما أصبح مقراً دائماً للمعارض والمؤتمرات. لقد حكى لنا المرشد أشياء كثيرة عن هذا القصر وتاريخه؛ فهو تاريخ مضى ولن يرجع مهما حاول المسؤولون عن هذا القصر إعادة الحياة إليه.

وبعد أن انتهينا من التجوال في القصر وحدائقه قُمنا بالسير في البلدة التي تمتاز بمناظرها الساحرة، ومتاجرها الأنيقة، وشوارعها الفسيحة التي تزخر بالحركة والنشاط السياحي. ثم عُدْنا بعد ذلك إلى العاصمة، وخلال الطريق كنا نشاهد الريف الجميل، وننعم بالمناظر الرائعة حيث الأزهار والأشجار والحدائق والحقول الممتدة مردّدين قول الشاعر:



يعد معهد العالم العربي مكان حوار بين الثقافتين العربية والغربية؛ فهو مؤسسة ثقافية لمعرفة العالم العربي

كست الطبيعة وجه أرضك سندساً

وحَبَتْ نسيمك إذ تضوع طيبا

بسط تظلّلها الغصون فأينما

يمّمت خلتَ سُرادقاً منصوبا

وبعد رؤية مشاهد كثيرة في هذه البلاد، وجولة في ربوعها التي تعجّ بالحياة والحركة غادرناها، ومررنا بغابة بولونيا، فتذكّرتُ شوقي وما قاله عندما أقام في باريس، ومن ذلك:

يا غاب بولون وبي — وجدٌ من الذكرى يزيد

يا غاب بولون ولي — ذمم عليك ولي عهود

وبعد تلك الرحلة توجّهنا إلى باريس استعداداً للسفر إلى بلادنا الزاهرة قائلاً:

بلادي بها ما يملأ العين بهجة — ويسلي عن الأوطان كل غريب

وقول الآخر:

يا بلادي أنت عندي — جنة الله الهنية

فيك بيت الله تهفو — نحوه النفس الزكية

أدب الرحلات عند العرب والمسلمين

عرف العرب أدب الرحلات منذ القدم، وكانت عنايتهم به عظيمة في سائر العصور، ولعلّ من أقدم نماذجه الذاتية رحلة السيرافي بحراً إلى المحيط الهندي في القرن الثالث الهجري، ورحلة سلام الترجمان إلى حصون جبال القوقاز سنة ٢٢٧هـ بتكليف من الخليفة العباسي الواثق للبحث عن سدّ يأجوج ومأجوج. ثم تأتي رحلات كلّ من المسعودي مؤلف (مروج الذهب)، والمقدسي صاحب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، والإدريسي الأندلسي في (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، إضافةً إلى رحلة الرحالة المؤرخ عبداللطيف البغدادي. ومن أشهر أدب الرحلات رحلة ابن بطوطة -أعظم رحّالي المسلمين- التي بدأت سنة ٧٢٥هـ من طنجة بالمغرب إلى مكة المكرمة، وظلّ زهاء تسع وعشرين سنة يرحل من بلد إلى آخر، ثم عاد في النهاية ليملي مشاهداته وذكرياته على أديب كاتب يُدعى محمد بن جُزَي الكلبي بتكليف من سلطان المغرب، وسمّى ابن بطوطة رحلته (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار). وروى ابن بطوطة مشاهداته في بلدان إفريقية، وكان هو أول مكتشف لها، كما صوّر كثيراً من العادات في مجتمعات الهند بعد ثلاثة قرون من الفتح الإسلامي لها. والرحلة في عمومها صورة شاملة دقيقة للعالم الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري، وإبرازٌ لجوانب مشرقة للحضارة الإسلامية والإخاء الإسلامي بين شعوبه.

سعد عبدالرحمن البواردي

الرياض – السعودية

أحلام يقظة

أحلم بالحب.. فلا حرب بدنيانا

أحلم بالعدل.. فلا عذل تغشّانا

***

أحلم بالعلم.. فلا وهم نكابده

أحلم بالصدق.. فلا زيف نراوده

***

أحلم بالنور.. فلا عتمة تُرهبنا

أحلم بالرحمة.. فلا نقمة تُرغبنا

***

أحلم بالخير.. فلا شرّ ولا حقد

أحلم بالوصل.. فلا بغض ولا بعد

***

أحلم أن الدين لنا نبراس حياة

نوقده.. نوقظه مع كل صلاة

***

أحلم بالوحدة في عالمنا العربي

كل إنسان فيه حرٌّ .. وأبيّ

***

أحلم بالقدس وقد عادت إلينا

حرة.. تخطو على العزّ الهوينى

***

و(عراق) الجرح حرًا ومعافى

كل فرد مع ما فيه تصافى

***

أحلم بالدنيا وقد عادت خميلة

كل ما فيها لأهليها رياحين جميلة

***

أحلم بـ (النورس) في أفق سمانا

وهو يشدو ويغني بالأماني لرُبانا

***

أحلم بالفقر.. وقد وُوري قبره

أحلم بالقهر.. وقد ودّع عمره

***

أحلم باليتم.. وبالطفل المشرَّد

وهو يلهو.. دون يتم ويُغَرّد

***

أحلم بالمال عطاء.. ليس جمعا

وبصوت الحق هدياً.. ليس قمعا

***

أحلم بالتاريخ حياة تتجدّد

ليس ماضٍ.. ثم آتٍ يتجمّد

***

أحلم أنْ ليس على الدنيا عقوق

وجفاء ورياء وغباء وفسوق

***

أحلم أن ليس دعاوى وتقاضي

كل إنسان بحكم الله راضي

***

أحلم أن المرء حرٌّ ومثاليٌّ بأرضه

يدفع الشرَّ دفاعاً عن أهاليه وعرضه

***

أحلم أن العمر زاد واستزادة

هو (دنيا) هو (أخرى).. هو (سعي) و«(عبادة)

***

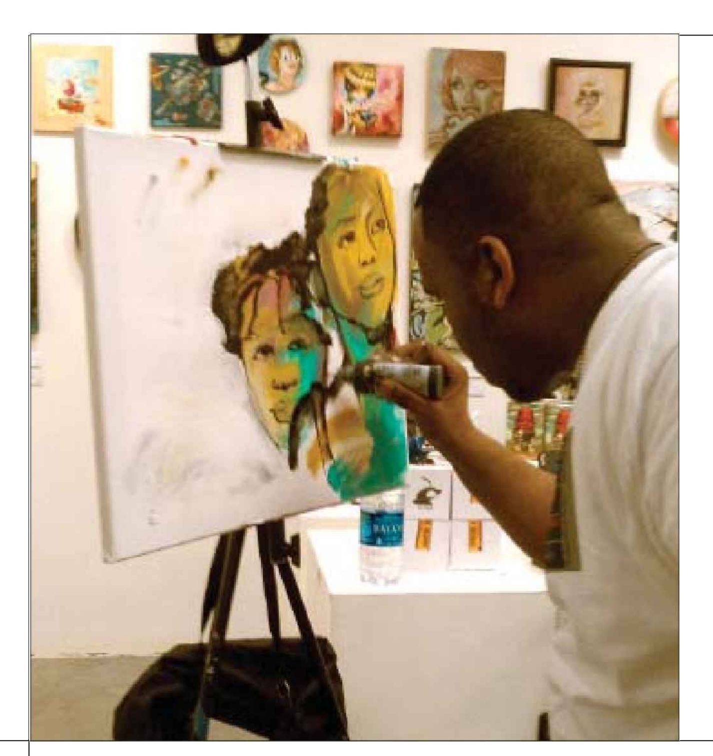
أحلم.. لكن حين أصحو من الحلم أعلم

أنني أغرق في حلمي فأبكي أتألم



فنون

التذوق الفني من زاوية تربوية



أثبت كثير من الدراسات والبحوث العلمية أنه لا يمكن أن يتم التذوق الفني بمعزل عن الظاهرة الجمالية التي وُلدت مع وجود الإنسان على الأرض؛ لأن الإحساس بالجمال، والتفاعل معه، واستشعاره، سمات أودعها الله سبحانه وتعالى في الجنس البشري، فخلق له في الأرض والكون جمالاً يستمتع به ويتذوقه؛ ليدرك عظمة الخالق جلّ وعلا وقدرته في خلقه.

محمد بن إبراهيم العبدالكريم

الرياض – السعودية

الفن شكل من أشكال الجمال ابتدعه الإنسان مدفوعاً بإحساس المعرفة والخبرة والمتعة منذ أن بدأ يرسم على جدران الكهوف؛ ليصبح كل ما أنتجه الإنسان من فن خبرات بشرية متراكمة عبر العصور من خلال الثقافات المختلفة. وقد تنوعت أهداف الفن تبعاً لفلسفة كلّ ثقافة وعصر؛ فمنها أهداف تعبيرية لتوثيق الأحداث والخبرات الحياتية والعقائدية، ومنها أهداف جمالية لتزيين محيط الإنسان وما يصنعه لنفسه من أدوات وتجهيزات ولباس ومسكن. ويشير كثير من الباحثين إلى أن طبيعة الفن المتغيّرة من عصر إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، هي دعامة مهمة من دعائم تميّز الفن وتفرّده، وهي سبب من أسباب الجدل الذي يدور بين المفكرين والفلاسفة، حتى عامة الناس، حول الفن.

ولعل جميع الدراسات التي تناولت التذوق الفني تناولته في إطار الخبرة الجمالية، وعلاقة الفن بالجمال، ودور كل من المبدع والمتذوق. وقد تعددت اتجاهات الكتاب والباحثين في تناولهم التذوق الفني حسب تنوع تخصصاتهم العلمية؛ فمنهم من تناول التذوق في إطار علم الجمال أو فلسفة الفن، واهتم المتخصّصون في علم النفس بالتذوق كسلوك أو كاستجابة للمثيرات الجمالية والفنية، وهناك من المتخصصين في التربية من تناول في كتاباته الأهمية التربوية للتذوق الفني كمدخل لتنمية الشخصية المتكاملة المنتمية إلى مجتمعها، والقادرة على التكيف والتفاعل مع الآخرين، ومن المتخصصين في التربية الفنية من تناول التذوق الفني وأثره في الخبرة الجمالية والرؤية الفنية من خلال عدّ التذوق الفني أحد الميادين الأربعة المكونة للتربية الفنية بحسب نظرية DBAE، وهي نظرية التربية الفنية المبنية على الفن بوصفه مادة دراسية، ودور التذوق الفني المتكامل مع بقية محاور الفن وميادينه. وهناك أكاديميون وكتّاب تناولوا التذوق الفني من خلال خصائص العمل الفني ذاته وسماته، وأثره في المتلقي أو المشاهد.

وفي هذه المقالة سيتم تسليط الضوء على الأهمية التربوية



للتذوق الفني؛ لأن الهدف من عملية التذوق الفني ليس الاستمتاع بجمال الأعمال الفنية فقط، بل هناك فوائد تربوية كثيرة لهذه العملية، من أهمها:

أولاً: التذوق الفني سلوك جمالي وتهذيب وجداني

تشير حنان حسين إلى أن ولسون Willson أكد أن الطالب عندما يكتسب القدرة على التذوق الجمالي فإنه يكتسب ثلاثة أنماط من السلوك، هي: التقدير، والتعاطف، والإحساس. وهذا يساعد على الاستمتاع بالعوامل الجمالية في الفن والبيئة. وفي التذوق الفني خبرة تساعد الطلاب على البحث وإدراك العلاقات من خلال المراحل التي يمرّ بها المتذوق، وهذا ما أكده محمود البسيوني عندما أشار إلى ثلاث مراحل يمرّ بها المتذوق، هي:

- مرحلة البحث Enquiring:

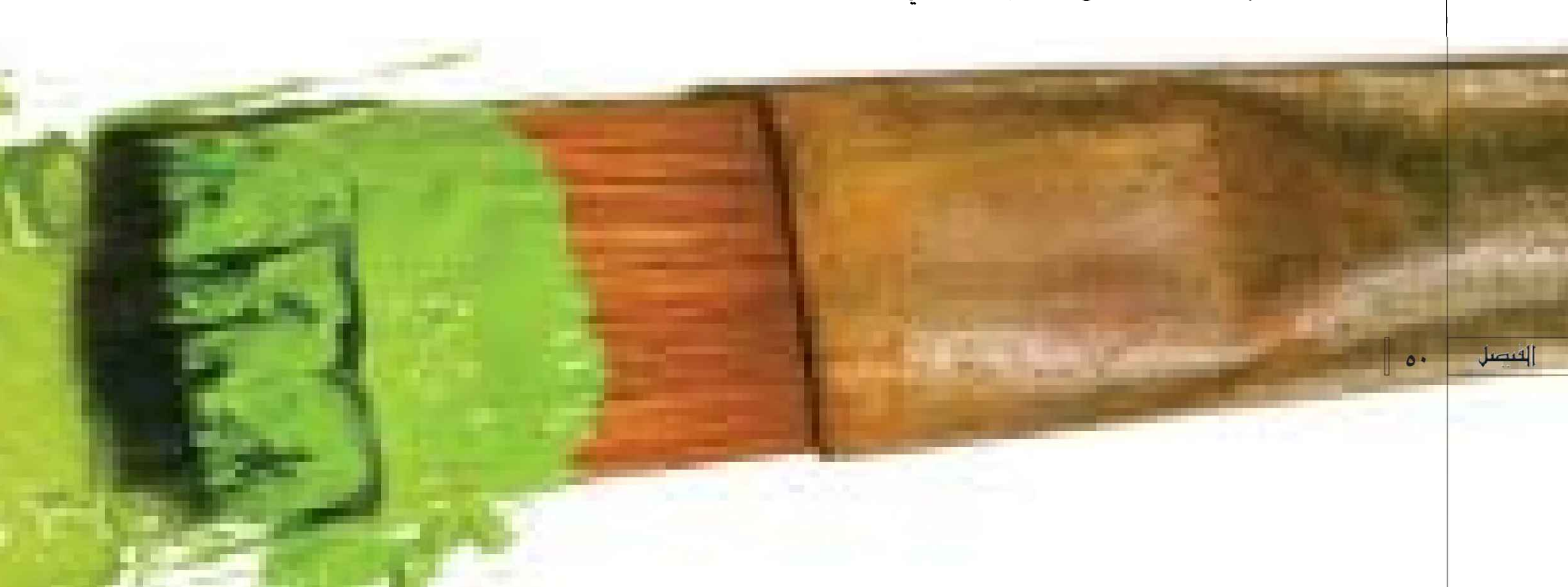
وتتميّز هذه المرحلة بالدقة، والتمحيص، والتأني في إدراك العلاقات، والربط بينها، واستنباط القيم المؤثرة. وتتميز أيضاً بالتأمل، وهو نوع من النشاط الذهني العميق؛ إذ يستجمع فيه الفرد كلّ خبراته السابقة التي تعينه على النفاذ إلى أعماق العمل الفني، وتفسير ما يشمله من مكونات وعناصر. وتحتاج هذه المرحلة من المشاهد أو المتلقي جهداً ومثابرةً وبذل أنواع مختلفة من النشاط الحسي للكشف عن العوامل التي تحقق الاستمتاع الجمالي.

- مرحلة الاكتساب Acquiring:

يكتسب الفرد المتعة الجمالية من خلال البحث التأملي الفاحص في

تكمن أهمية التذوق الفني في أنه نافذة الفرد للتأمل والاطلاع على آيات الله في خلقه بعين فاحصة تميز مواطن الإبداع في البيئة الطبيعية





مكونات العمل الفني، التي تُكسب شخصيته طابعاً جمالياً ينعكس على تعديل سلوكها، وتهذيب وجدانها، وتضاف إلى رصيدها من الخبرة، التي تكون وسيلةً لتذوق مواقف جمالية جديدة.

- مرحلة التعميم Generalization:

يُطبق الفرد في هذه المرحلة ما اكتسبه من المواقف الجمالية المختلفة على سائر المواقف في المستقبل؛ نتيجة تكوين حصيلة معرفية تُضاف إلى رصيده من الخبرة السابقة.

ومما سبق نجد أن التذوق الفني خبرة معرفية يحصل عليها المتذوق من خلال عملية الاستكشاف الفاحص، مُستخدماً فيها بصره وعقله التأملي الواعي، ومُنمياً من خلالها مهارات البحث والتقصّي لديه، وهو بذلك يربط الخبرات الجديدة بالخبرات السابقة ليصل إلى الخبرة الجمالية؛ فيحصل على خبرات تصقل وجدانه وتهذّبه وتجعله يُطبق ما يحصل عليه من معارف وخبرات في مواقف تعليمية وحياتيه جديدة، وهذا ما تؤكده عبير صبحي؛ إذ ترى أن «التذوق الفني بمفهومه المعاصر أصبح من السلوك الابتكاري والجمالي الذي يُنمي حب المعرفة، ودقة الملاحظة، وحرية الاختيار، والحكم على الأشياء، ومقارنتها. وهذا السلوك يدعم شخصية الأفراد بسلوكيات وأساليب الرؤية والمعرفة والبحث، التي تختلف كثيراً عما لو كان الشخص غير مُدرّب على التذوق الفني، وحاجة المجتمع ماسة إلى هذه السلوكيات الجمالية؛ إذ إن المعرفة، سواء في الفنون أم في العلوم، من دون تذوق تُفقدنا الكثير، فتصبح مواد جافة لحشو الذهن، أما التذوق فيُعطي العلم والمعرفة جانب الاستمتاع، ويُضيف إلى البحث مهارات جديدة تؤكد قيمته».



ثانياً: التذوق الفني ينمي الرؤية الفنية

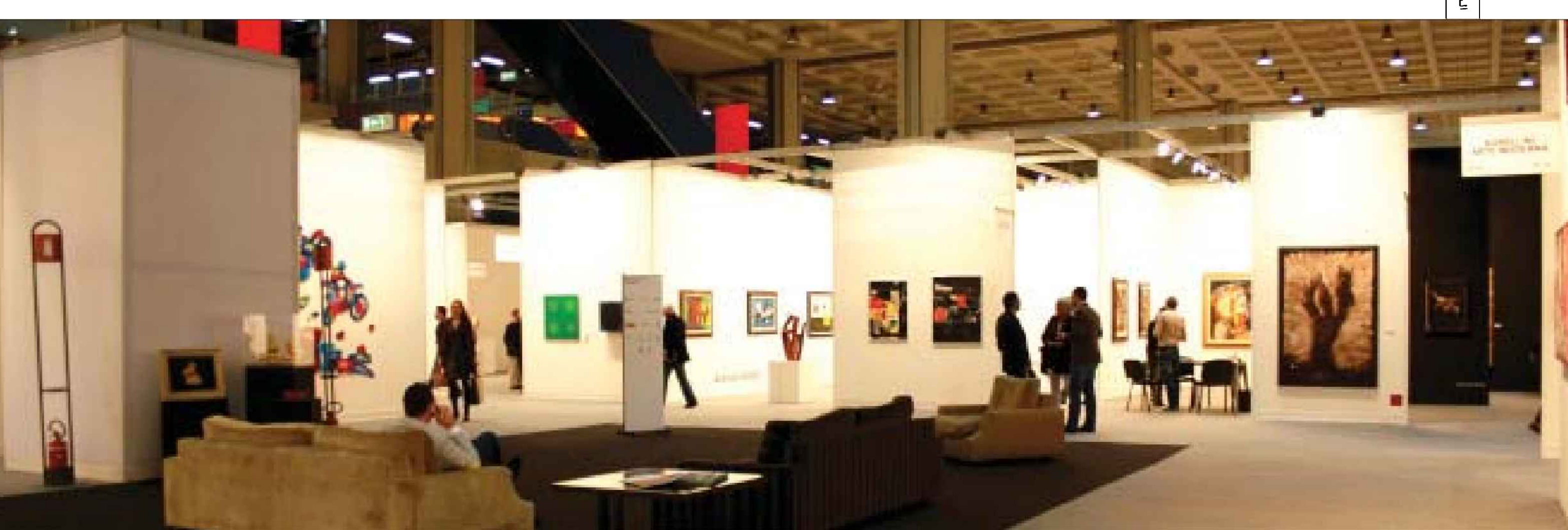
تُعدّ الرؤية الفنية سلوكاً وليداً للتذوق الفني، ويحتاج الفرد إلى هذا النوع من الرؤية التي تُثري حياته، وتجعل عالمه أكثر اتساعاً، وتعكس التفاؤل والأمل في وجوده. وترى عبير صبحي أن فكرة الرؤية الجمالية تعود إلى وحدة الطبيعة، والتكامل، والاتزان في الشخصية، وكلّ هذا يوجد نوعاً معيناً من الشخصيات التي نحتاج إليها في المجتمع. والرؤية الفنية ستُعطي المتذوق فرصاً لقراءة الأعمال الفنية، وفهم علاقاتها الجمالية، وفهم محتوى الشكل، بل ستضيف إلى المتذوق خبرات جديدة مُرتبطة بتقنيات العمل الفني وطرائق أدائه، وستزيد من اهتمامات المتذوق لتتبلور من خلالها اهتمامات جديدة تُعدل من سلوكه، وتُنمي فيه كلّ ما هو خير وجميل.

ثالثاً: التذوق الفني يساهم في تكامل الشخصية

من أهم ما تهدف إليه الفنون التشكيلية البصرية والتربية الفنية، في سياق أهدافها العريضة، تأكيد تكوين شخصية الفرد المتكاملة وتعزيزها من خلال تقوية إحساسه بمكامن الجمال، وإدراك العلاقات بين الأشياء. وتكامل الشخصية قد لا يتحقق بالمعنى الشمولي من دون أن يُعنى الفرد بتعرّف الجوانب الفنية، وتثقيف نفسه فنياً، أو تهذيب ذوقه الفني المتصل بوجدانه، والفرد من دون ذوق فني يفقد اهتمامه بالمظاهر الجمالية للحياة.

والشخصية المتكاملة يمكن أن نتصورها في أحسن حالاتها على أساس مستوى المعرفة العلمية والخبرات الحياتية الإيجابية، ومدى توافر الأبعاد الإنسانية، والتذوق والحسّ الجمالي والوجداني؛ إذ ينعكس ذلك في التنظيم الجمالي لحياة الفرد وعلاقته بما حوله؛ ذلك التنظيم الذي يُمكّن الفرد من تصمم بيت جميل يسكن فيه، ومكتب أنيق يعمل فيه، وهو تكامل يجعل الفرد يعتني بانتقاء ملابسه، واختيار أثاث مكتبه ومنزله بكل عناية تواكب الذوق الجمالي المتفنّن، وغير ذلك من الأشياء التي يستخدمها الفرد في حياته. ولعلنا نُدرك من خلال كلّ ذلك أن من الأهداف العامة للفن التشكيلي والتربية الفنية إيجاد جيل على مستوى مُتقدم من التذوق للقيم الإنسانية والجمالية، التي من دونها يتحوّل المجتمع إلى العشوائية الفوضوية، والابتذال الممزّق في تدنّي مستوى العلاقات الإنسانية.

والأنشطة الفنية الخلاقة يتم تعلّمها بالخبرة والممارسة؛ فهي ليست خاضعة لقوانين معرفية مُجردة من الإحساس، بل هي مبنية على مشاعر وانفعالات جمالية، ووجدان سيكولوجي، واستعداد للتذوق المفعم بالحيوية؛ فهي لا تنمو بالضغط، ولا





السلوك الجمالي مطلوب في التعامل وتعرف المواقف المختلفة، وموقف الأفراد تجاه الفن والأعمال الفنية مهم في حد ذاته لتقوية سلوكهم نحو اختيار بيئة جمالية

تُوجد بالإكراه، بل تنمو تلقائياً بإرادة حرّة، ويكون الفرد فيها قادراً على تجسيد انفعالاته، وإظهار مشاعره وعواطفه للآخرين، وتمثيل مشاعره بالعلاقات التشكيلية في الخط والشكل واللون، وإظهار أحاسيسه وخلجاته النفسية المتعلقة بالحب، والفرح، والحزن، والخجل، والكبرياء، أو الغضب، والكراهية، وجميع الحالات الانفعالية والأخلاقية. والفن أُوجد في التعليم العام لغرس الجمال والأخلاق الحسنة في النفوس، وتأكيد الحرية في التعبير، والتوجّه إلى البوح عن موضوعات الفضيلة والخير في كلّ ما يتعلق بحياة الإنسان.

ويُشير محمود البسيوني إلى أن هدف التربية الفنية هو السعي نحو تكامل الشخصية بكل مقوماتها الفكرية والحسية والسلوكية والمعرفية. ويعني التكامل هنا نمو كلّ جوانب الفرد، وعاداته، واتجاهاته، ومفاهيمه، واستجاباته الجمالية والحسية، بتواؤم وتآلف؛ إذ يظهر كلّ ذلك في الأفكار، ويرتقي بسلوك المتعة ارتقاءً حضارياً يظهر في نهايته على أنه شخص يختلف تماماً عن الشخص قبل أن يخوض في ميدان الفن التشكيلي والتربية الفنية، وأنه ازداد شيئاً كان ينقصه، واكتسب خصائص لم تكن متوافرةً لديه؛ إذ أصبح إنساناً آخر غير الذي لم يَنَلْ حظه من هذه العملية. ويؤكد البسيوني أن دور معلم التربية الفنية يتعلق بالمتعلم ككل، وليس قاصراً على مهارات الفن التشكيلي وحدها؛ فمتعة التعلم خلال العملية الفنية في أنه يُحس ويُفكر، ويُترجم تفكيره وإحساسه في قوالب مفهومة ومحسوسة للرائي الذي يتفاعل معها.

رابعاً: التذوق الفني يهذب السلوك الأخلاقي في التعامل مع البيئة

يهدف التذوق الفني إلى تربية الأفراد جمالياً؛ فالتربية الجمالية هدف من أهداف التربية عامةً، ولا يُمكن لمجتمع أن يتمتع بمقومات حضارية من دون هذا النوع من التربية؛ فالسلوك الجمالي مطلوب في التعامل وتعرّف المواقف المختلفة، وموقف الأفراد تجاه الفن والأعمال الفنية مهم في حدّ ذاته

لتقوية سلوكهم نحو اختيار بيئة جمالية.

وأشار محمود البسيوني إلى قول هربرت ريد: «إننا حين نخوض في أشكال الحياة الرئيسة في الفرد وفي المجتمع نجد العامل الجمالي مُسيطراً، ولا يُمكن الهروب منه؛ إنه المبدأ الذي يُشكل أيّ تصميم وأيّ هدف يُمكن أن نفطن إليه بذكائنا في هذا الكون، وإذا استنكرنا معناه فسوف نسوق البشر إلى فوضى، وهذا ما حدث مراراً في الفترات المضمحلة في التاريخ البشري، وأن أُسس بناء المدينة لا ترتكز على العقل، وإنما على الحواس، وما لم نتمكن من استخدام الحواس وتربيتها فلا يُمكن أن نحقق الظروف العضوية للحياة الإنسانية».

إن الدوافع الأخلاقية هي التي تتحكم في ضمير الفرد ليكون رقيباً على سلوكه الإيجابي نحو بيئته؛ ليُحافظ على هذه البيئة من كل أنواع التلوث، ويتكامل دور الدين والفن في تنمية هذا الاتجاه، ومنذ القدم كان أفلاطون قد فكّر في أن الفعل الخُلقي جميل، والفعل غير الخُلقي قبيح، ورأى أيضاً أنه يجب أن تراعي الدولة الفنانين، وتختار منهم أصحاب المواهب الذين يشكّلون البيئة بكلّ ما فيها من جمال؛ فإذا شبّ الجيل الجديد لا بد أنه يتنفس الجمال من كلّ مورد نقيّ تهبّ منه نسمة. يقول أفلاطون: «وسترى عندئذٍ أن صغارنا يسكنون أرضاً صحية منذ سنوات حياتهم الأولى وسط مناظر وأنغام جميلة، ويستقبلون الحسّ من كل شيء، وسيفيض الجمال على أعينهم وآذانهم من سبل الأعماق الصافية كالهواء العليل المنعش للصحة، الذي يهبّ من مورد نقيّ فيُهذب روحهم دون أن يشعروا، ويدفعها نحو التشبه بالجمال الذي أنتجه العقل، ويحببهم فيه».

ويرى محمد حسين جودي أن «الطالب في مراحله الدراسية لابد أن ينال حظه من الثقافة الفنية لكي يُصبح مواطناً ذكياً، يؤدي الذوق والحسّ المرهف دوراً هاماً في سلوكه وفي حياته، ويُمكن أن يستند على ذوقه وثقافته الفنية في بناء حياته الجديدة، وجعلها مُريحة في نفس الوقت، ويتعود على الاستمتاع بالأعمال الفنية الجميلة، وجمال الطبيعة، وإدراك قيمتها حسياً وعلاقاتها التشكيلية المنسجمة».

أهم أدبيات الظاهرة الجمالية والتذوق الفني

- التذوق الفني هو قدرة الفرد على الإحساس بالقيمة الجمالية والفنية والتعبيرية في الأعمال الفنية التي أنتجها الإنسان عبر العصور، والتواصل اللفظي في الحديث عنها بلغة الفن مع الآخرين.
- أن الفن جزء من الظاهرة الجمالية، ومن ثَمّ فإن التذوق الفني جزء من التذوق الجمالي.
- أن الإحساس بالجمال إحساس فطري ينمو لدى الفرد من خلال التعلم، ومن خلال البيئة الجمالية، إلا أن التعلّم والخبرة ضروريان للتذوق الفني.
- الاطلاع على التجارب الإنسانية في تاريخ الفن مهم وضروري لتذوق الأعمال الفنية، وفهم معانيها، والحكم عليها.
- التذوق الفني قدرة متميزة بين الأفراد تبعاً لعوامل كثيرة؛ منها: البيئة، ونوع الجنس، وأنماط الشخصية، والخبرة الجمالية، والعمر الزمني، وغيرها.
- التذوق الفني سلوك قابل للقياس من خلال مقاييس تتمتع بدرجه عالية من الصدق والثبات، وهذه المقاييس تقيس الحساسية الجمالية، والتفضيل الجمالي، والحكم الجمالي.
- المتذوق الفني يمرّ بتجربة إبداعية مشابهة لتجربة الفنان.



مما سبق يتّضح لنا أهمية غرس الاتجاهات الإيجابية لدى الطلاب في التعامل الأخلاقي مع البيئة، من حيث المحافظة على نظافة الشوارع والمرافق العامة، وتكوين اتجاهات عامة في المجتمع لمكافحة كلّ صور التلوث البيئي، خصوصاً عندما يكون هؤلاء الطلاب في المستقبل أصحاب قرار مؤثّر في البيئة الجمالية من خلال جعل جميع أنشطة الإنسان أقلّ ضرراً على البيئة.

من أهم ما تهدف إليه الفنون التشكيلية البصرية والتربية الفنية، في سياق أهدافها العريضة، تأكيد تكوين شخصية الفرد المتكاملة وتعزيزها من خلال تقوية إحساسه بمكامن الجمال

خامساً: التذوق الفني ينمي الانتماء والشخصية الوطنية

إن من أهداف المجتمع إعداد فرد متكامل مؤمن ومنتمٍ إلى وطنه وقيادته، ويعمل على إسعاد مجتمعه. والتذوق الفني يؤدي دوراً مهماً في تنمية هذه المشاعر وتأكيدها؛ فحب الوطن لا يمكن أن ينمو من دون أن تُغرس هذه المشاعر في النشء. كما يمكن أن يُعلّم الكبار ذلك من خلال الاهتمام بآثار الحضارات والفنون في وطنهم وتذوقها، وكلما زادت معرفة الطالب بمكانة وطنه، وتطوره الحضاري، ومنزلة تلك الحضارة بين الحضارات المختلفة، زاد ذلك من فهم الطالب شخصيته وانتماءه الذي هو جانب من تكوين الشخصية الوطنية.

وتُشير عبير صبحي إلى أن «التذوق الفني يربط النشء بالبيئة الطبيعية الجمالية المحيطة بهم، ويجعلهم أكثر تكيفاً وقدرةً على التعايش ومحاولة التطوير. كما أن التذوق الفني مرتبط بالسلوك الابتكاري الذي يكتسبه المتذوق كنتيجة لاحتكاكه بالأعمال الفنية، وفهمه للإبداع الفني. والفن والتذوق الفني يخلقان نوعاً من الاتزان بين الاهتمامات الفطرية والاتجاهات الإنسانية. ومما لا شك فيه أن العديد من الخبرات ستنعكس على شخصية الطالب وسلوكه كنتيجة للتذوق الفني».

والمعايير التي نُقدّر بها الفن هي معايير اجتماعية مُشتركة؛ فعملية التواصل من خلال التذوق الفني تعمل على تنمية روح التآلف بين الفنان والجمهور، وبين المتذوقين أنفسهم؛ مما يُعزّز الإحساس بالمشاركة وانتماء الفرد إلى الجماعة والوطن. كما أن عملية النقاش وتبادل الخبرات والآراء بين الطلاب حول الأحكام التي يطلقونها وفق تفضيلاتهم الشخصية، ووفق المعايير السائدة للتذوق الفني في المجتمع، تمكّنهم من التفاعل الاجتماعي والتواصل، وتكوين القيم المشتركة التي تساعدهم على التكيف الاجتماعي، وتُعزز القواسم الثقافية المشتركة بين أبناء المجتمع.

سادساً: التذوق الفني ينمي المعرفة والتفكير الناقد

تكمن أهمية التذوق الفني في أنه نافذة الفرد للتأمل والاطلاع

على آيـات الله في خلقه بعين فاحصة تُميز مواطن الإبـداع في البيئة الطبيعية، وفيما أنتج الإنسان وأبدع. ومن خلال هذه الرؤية التأملية والإبداعية نتعلم التصنيف، والتحليل، والتمييز بين مستويات الجمال والإبداع. وتُشير فاطمة أبو النوارج ومحمد صالح إلى أن «الثقافة البصرية لها علاقة وطيدة بأساليب المعرفة، والتأمل، والتفكير، والنقد، والإبداع. وقد عرّف هوارد Howard الثقافة البصرية بأنها مجموع القدرات البصرية التي يُمكن للفرد أن ينميها بواسطة الرؤية لتكون لديه القدرة على الإنجـاز والتكامل مع الحـواس الأخـرى. ومـن أهـداف الثقافة البصرية تنمية قدرة الفرد على التأمل، والرفض، والقبول، وإصدار القرارات».

وفي هذا الصدد يرى توماس وست Thomas west أن بعض عظماء المفكرين في المجالات المختلفة اعتمدوا على أنماط التفكير البصري مُستخدمين صوراً ذهنية أكثر من الاعتماد على اللفظية والرموز؛ أي: بعيداً من الكلمات والأعـداد. كما يرى أن طرائق التفكير البصري والمكاني يبدو أنها تناسب جيداً معالجة مشكلات معينة، وأن هـذه الأساليب مرتبطة ارتبـاطاً وثيقاً بكثير مـن الإنجـازات الإبداعيـة في مجالات العلوم والفنون. ويعدّ اتجاه جودمان Goodman المعرفي من أبرز الاتجاهات الحديثة في دراسات الفن؛ فقد قدم جودمان النظرية الإرشادية أو نظرية العلامات Semiotic Theory في مجال الفن؛ إذ نظر إلى الأعمال الفنية بوصفها أنساقاً من الرموز، وقـام بعقد مقارنات بين التمثيل البصري والوصف اللفظي، وقال: إن قراءة اللوحات وقراءة النصوص تشملان عملية تمييز وإحاطة بصرية، وإن الخبرة الجمالية هي خبرة ديناميكية وليست خبرة سلوكية، وإنها تشمل القيام بتمييزات دقيقـة، والتنبيه إلى العـلاقـات المرهـفـة الدقيقة، وتحديد الأنظمة الرمزية والخصائص المميزة داخل الأنساق الفنية. ويرفض جودمان فكرة أن الفن أكثر انفعالية وأقلّ معرفيةً من العلم؛ لأن الخبـرات الجمالية والعلمية تتشابهان في كونهما ذواتي طبيعة معرفية.

وأشار فتحي عبدالرحمن جروان إلى تعريف باريل Barell للتفكير بأنه في أبسط تعريف له «سلسلة من الأنشطة العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لُمثير يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمس (اللمس، والبصر، والسمع، والشم، والذوق). والتفكير بمعناه الواسع عملية بحث عن معنى في الموقف أو الخبرة، وقد يكون هذا المعنى ظاهراً حيناً، وغامضاً حيناً آخر، ويتطلب التوصل إليه تأملاً وإمعان نظر في مكونات الموقف أو الخبرة التي يمرّ بها الفرد؛ لذلك فهو يتضمن استكشافاً وتجريباً، ونبدأ التفكير عادةً عندما لا نعرف ما الذي يجب عمله بالتحديد».

ويُعرّف مجدي عزيز إبراهيم التفكير بأنه «نشاط عقلي واعٍ يسعى لحلّ مشكلة أو موقف غامض، أو إيجاد وسيلة تخفف من متاعب الحياة». ويضيف: «الإنسان المُفكر يُلاحظ بعقل متفتّح كل ما يمرّ أمامه، أو يثير فضوله، وأن التفكير الناقد هو عبارة عن مهارات التمييز بين الحقائق والأداء، والحكم على مدى صحة وصدق وقيم الشيء؛ لأن التفكير الناقد يعني تكوين عادة الامتناع عن إصدار الأحكام إلا إذا اكتملت الأدلة».

إننا نكشف في تحليلنا الجمالي للأعمال الفنية حقائق عن الحياة، ونتعرّف أساليب متميّزة من الأداء الفني عن طرائق التخيّل والرموز بالقدر الذي يسمح بفهم جذور الحضارة الإنسانية التي شملت الفنون، وحياة الناس، وردود أفعالهم تجاه العالم من حولهم. فمن خلال دراسة تاريخ الفن والتأمل في الأعمال الفنية يُلمّ الفرد بأساليب الفن التي كانت مُتبعةً آنذاك، وبفلسفة الفن ونظرياته، كما يُلمّ بالأساليب الحياتية السابقة؛ كالحيـاة الدينـية، والاقتصـادية، والاجتماعية،





والثقافية، والسياسية، والعلمية. وهذا النوع من المعرفة الحسية لا يستطيع الفرد أن يستغني عنه؛ لأنه جانب مهم يُمثّل كنوز الماضي، وذخيرة المستقبل، وينمّ على استطاع الإنسان أن يصل إليه من اكتشافات وأفكار.

إن الهدف الأساسي من تدريس التذوق الفني يتمثّل في تعليم الطلاب كيف يفكرون بتأمل، وبشكل نقدي، بصرف النظر عن طبيعة الموضوع. ودراسة التذوق الجمالي تُصبح مقدمةً لنشاط فلسفي أساسي لاكتساب المعرفة الذاتية. من ذلك كله تتبيّن لنا أهمية التذوق في تنمية القدرة على التفكير المنطقي المبنيّ على المنهج العلمي الصحيح في تناول الظواهر التي تحدث من حولنا، وأن العين هي وسيلة الإنسان الأولى للاتصال بالعالم الخارجي، والتذوق الفني يعوّد الفرد، ويشجع التلاميذ على أن يكونوا أصحاب وجهة نظر متميزة نحو جميع القضايا التي تواجههم في الحياة من خلال انتقال تلك الخبرة.

المراجع

- محمد حسين جودي، طرق تدريس الفنون، عمان: دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
- محمود البسيوني، آراء في الفن الحديث، ط٣، دار المعارف، ١٩٦١م.
- محمود البسيوني، التربية الفنية بين الغرب والشرق الأوسط، دار المعارف، ١٩٨٤م.
- محمود البسيوني، تربية الذوق الجمالي، دار المعارف، ١٩٨٦م.
- فاطمة أبو النوارج، ومحمد صالح، جماليات الكون، ج٣، القاهرة: مطابع الأهرام التجارية، ٢٠٠٥م.
- فتحي عبدالرحمن جروان، تعلم التفكير: مفاهيم وتطبيقات، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٨م.
- مجدي عزيز إبراهيم، إستراتيجيات التعلّم وأساليب التعليم، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٤م.
- حنان حسين دقماق، منهج مقترح لتنمية التذوق الجمالي لغير المتخصصين من شباب الجامعات، رسالة دكتوراه غير منشورة، مصر: كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠١م.
- عبير صبحي محمد دياب، برنامج مقترح للتربية المتحفية كمدخل للتذوق الفني للطفل، رسالة ماجستير غير منشورة، مصر: كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٩٩م.

شجيرات الليلاك

ألكسندر كوبرين(*)
ترجمة: هاشم حمادي
دمشق – سورية

قصة



ما إن دخل نيقولاي ألماظوف البيت حتى اتّجه إلى غرفته مباشرةً من دون أن يخلع معطفه أو حذاءه. ولم تكَدْ زوجه تنظر إلى وجهه المتجهم، وحاجبيه المقطبين، وهو يعضّ على شفته السفلى بعصبية، حتى أدركت أن مصيبةً كبيرةً قد حلّت.

سارت فيرا في إثر زوجها من دون أن تنبس ببنت شفة، وهي لا تكفّ تحدق في وجهه العابس. وقف ألماظوف قرابة الدقيقة في مكانه لا يريم، وقد سمر نظرةً شاردةً على ركن الغرفة. بعد ذلك ترك الحقيبة تسقط من يده، أما هو فقد تهالك على الكرسي، وراح يطقطق بأصابعه بتوتر. وألماظوف ضابط شاب، يدرس في أكاديمية الأركان العامة، وهو عائد الآن من هناك؛ إذ قدّم اليوم مشروع التخرج العملي في مقرّر الطبوغرافيا.

حتى الآن نجح في تقديم الامتحانات كافةً، ولا يعلم إلا الله كم كلّفه ذلك من جهد وتعب، بدءاً من المصاعب التي واجهته لدى الانتساب إلى الأكاديمية. لكن انكبابه على العمل، وتشجيع زوجه، ساعداه كثيراً على تذليل هذه المصاعب. وربما لولاها لتخلّى عن متابعة الدراسة، وغادر الأكاديمية إلى غير رجعة. لكن فيرا لم تترك له المجال للاستسلام، وظلت تعمل جاهدةً على رفع معنوياته، ودفعه إلى العمل والمثابرة. كانت تستقبل كلّ إخفاق بابتسامة مرحة، وتبذل قصارى جهدها لتوفّر له جوّ العمل المريح، وتساعده قدر المستطاع على النسخ والرسم والكتابة والتدقيق.

انصرمت خمس دقائق من الصمت الثقيل، لا تقطعه سوى تكتكة الساعة العرجاء المألوفة والرتيبة. كان ألماظوف يجلس مرتدياً معطفه وقبعته، وقد أدار وجهه جانباً، بينما وقفت فيرا على بُعد خطوتين وقد خيّمت على وجهها الجميل سحابة من الحزن والتوتر.

أخيراً قطعت حبل الصمت بحذر، وسألت بصوت مفعم بالتعاطف والتشجيع كما يسأل شخص أقعده المرض:

– طيب، كيف كان المشروع؟ هل فيه عيب؟

هزّ الزوج كتفيه العريضتين من دون أن يحير جواباً.

لكن فيرا عادت تسأل:

– هل رُفض المشروع؟ الأفضل أن تخبرني الآن؛ فسوف أعرف ذلك عاجلاً أو آجلاً. التفت ألماظوف نحوها على عجل، ثم راح يتحدث بحماسة وانفعال كما يتحدث أولئك الذين كظموا غيظهم طويلاً.

– أجل، أجل. لقد رُفض.. لمعلوماتك.. هل يعقل أنك لا ترين؟ إلى الشيطان هذا كله.. تباً لكل هذه التفاهات. وبكل غضب رفس الحقيبة التي تحتوي على أوراق المشروع. بالإمكان الآن رمي كل هذه التفاهات في المدفأة، وداعاً للأكاديمية. بعد شهر سيكون عليّ أن أعود إلى الفوج مجلّلاً بالعار والخزي. كل هذا بسبب بقعة قذرة.. تباً.

– أيّ بقعة يا كولا[1]؟ لستُ أفهم شيئاً.

جلست الزوجة قربه، وأحاطته بيديها.

لم يُبْدِ ألماظوف مقاومةً، لكن نظره ظلّ مُسمّراً على ركن الغرفة، والاستياء بادٍ عليه.

– أيّ بقعة تقصد يا كولا؟.. عادت الزوجة تسأل.

– أخ يا إلهي، بقعة عادية خضراء اللون. تعرفين أنني أمضيت ليل البارحة ساهراً لإنجاز هذا المشروع اللعين.. كل شيء كان يجري على ما يرام، لكن يبدو أنني تعبت، وأن يدي ارتجفت، فسقطت نقطة حبر، ولسوء الحظ أنها كانت كبيرة وكثيفة، وحين رحت أمحوها زدتُ الطين بلةً؛ فقد تضاعف حجمها، وأصبحت كالقذى في العين. وبعد أن فكّرت في الأمر ملياً خطرت لي فكرة أن أرسم عدة شجيرات في المكان، وهذا ما فعلته. ولم تلبث النقطة أن تحوّلت إلى دغلة يرتاح إليها النظر، ولم يبقَ للبقعة المشؤومة أثر. واليوم حملت المشروع إلى الأستاذ المشرف، وقدمته إليه. وبعد أن تفحص الخريطة ملياً، وهو لا يخفي إعجابه، توقّف فجأةً عند الدغلة، وسأل:

– من أين جئت بهذه الدغلة أيها الملازم؟

كان عليّ أن أروي له القصة من دون لفّ ودوران، لكنني ركبت رأسي، وقلتُ له بلهجة مفعمة بالثقة: «إنها موجودة في هذا المكان»، «أبداً، فأنا أعرف المكان جيداً، ولا وجود لأيّ دغلة هنا». عندما ثار النقاش بيننا، وحمي وطيس الجدل، وتحلّق كثير من زملائي الضباط حولنا، فجأةً أعلن المشرف بلهجة قاطعة: «إذا كنتَ واثقاً من وجود الدغلة في هذا المكان فتفضّل معي إلى هناك غداً.. سوف أبرهن لك أنك على خطأ، وأن المكان أرض جرداء».

هنا سألت فيرا:

– ولماذا هو واثق إلى هذا الحد بأن المكان خالٍ من النبات؟

– يا له من سؤال؛ إنه واثق بذلك لأنه يعرف المكان منذ أكثر من عشرين عاماً. إنه يعرفه أفضل مما يعرف غرفة نومه، إنه مدقّق جداً؛ فهو ألماني. وفي النهاية سوف يتّضح أنني أكذب، وأقوم بالتزوير.. ثم..

في أثناء هذا الحديث لم يكن الزوج يتوقف عن تناول أعواد الثقاب من المنفضة، وتكسيرها إلى قطع صغيرة، وأخيراً قذف بها بغضب. كان من الواضح أن هذا الرجل القويّ قاب قوسين من البكاء.

أمضى الزوجان وقتاً طويلاً في صمت مطبق، وكلّ منهما نهب للأفكار المضنية والخواطر السوداء. وعلى حين غرّة قفزت

الزوجة من مكانها، وقالت بلهجة حازمة:

- اسمع يا كولا! لديّ فكرة. تعال معي، هيا بنا.

عادت الكآبة تخيّم على وجه المأظوف، وبدا كمن يعاني ألماً جسدياً لا يُطاق، وقال:

- كفاكِ كلاماً فارغاً يا فيرا، هل يخطر لك ببال أنني قادر على الذهاب إلى المشرف، والاعتذار منه؟ هذا لن يحدث أبداً.

- إن أحداً لا يطلب منك الاعتذار. كل ما في الأمر أنه إذا كانت هذه الدغلة غير موجودة هناك فينبغي أن نزرعها.

- نزرعها؟ نزرع الشجيرات؟.. سأل الزوج وقد جحظت عيناه من فرط الدهشة.

- أجل نزرعها، ما دمتَ قد تورّطت فلا مجال للنكوص.. هيا بنا، ناولني قبعتي وكنزتي.. في البداية حاول المأظوف الاعتراض، وحين لم يجد من زوجه أذناً مصغية نهض من مكانه، وتناول الكنزة والمظلة، بينما راحت فيرا تفتح الأدراج، وتخرج منها بعض العلب والأحقاق، وهي تتحدث بصوت عالٍ:

- ها هما القرطان.. لن يدفعوا لقاءهما كثيراً. أما هذا الخاتم، ذو الفصّ الماسي، فثمنه غالٍ.. سوف أفكّ الرهن فيما بعد.. وهذا السوار لا يساوي كثيراً؛ فهو بشع ومشوّه، قديم الطراز.. أين علبة سجائرك الفضية يا كولا؟.

لم تمضِ خمس دقائق حتى كانت كلّ المجوهرات قد عُبّئت في كيس صغير حملته فيرا، ثم خرجت برفقة زوجها وهي تستحثّه:

- هيا أسرع.

- لكن إلى أين؟ لن يلبث الظلام أن يخيّم، علماً أن المكان بعيد جداً.

- كلام فارغ.. هيا.

في البداية عرج الزوجان على مكتب الرهونات. كان من الواضح أن صاحب المكتب قد ألف مناظر المصايب التي تحلّ بالناس حتى أنه لم يعُدْ يتأثر بها؛ فقد أمضى كثيراً من الوقت في تفحّص المجوهرات ووزنها. ولا تَسَلْ عن خيبة أمل فيرا حين أعلن أن الخاتم، الذي عقدت عليه كثيراً من الآمال، لا يساوي أكثر من ثلاثة روبلات. وفي المقابل فقد فوجئت أن السوار البشع والمشوّه يساوي مبلغاً لا يُستهان به. وإجمالاً، فقد حصل الزوجان على ثلاثة وعشرين روبلاً، وهو مبلغ كافٍ.

حين طرق الزوجان باب (البستنجي) كان الليل البطرسبورغي القصير[٢] قد بدأ ينشر أذياله، وكان (البستنجي)، وهو عجوز تشيكي قصير القامة، يرتدي نظارة ذهبية، قد بدأ تناول عشاءه الآن، ولا تَسَلْ عن دهشته واستيائه من هذه الزيارة المتأخرة. في البداية ظنّ أن زائرَيْه محتالان؛ لذا فقد ردّ على إلحاح فيرا بلهجة جافة:

- لا أستطيع إرسال العمال ليلاً إلى ذلك المكان البعيد. تعاليا غداً صباحاً.

لم تجد فيرا بداً من أن تروي له القصة باختصار.

في البداية أصغى (البستنجي) إلى حديثها بنوع من الشكّ، لكن ما إن وصلت في روايتها إلى فكرة زراعة الشجيرات حتى تحوّل إلى آذان مصغية، ولم يلبث أن ابتسم بإعجاب. وحين أتت فيرا على نهاية القصة سأل بلهجة لا تخلو من التعاطف:

- طيب، وأيّ نوع من الشجيرات تريدان؟

ولما لم يكن لديه الآن أنسب من الليلاك فقد وافقا على أخذها.

عبثاً راح المأظوف يحاول إقناع زوجته بالعودة إلى البيت؛ فقد أصرّت على مرافقته، وأشرفت على زراعة الشجيرات، ولم توافق على العودة إلى البيت إلا بعد أن انتصبت النبتات الفتية، وبدأ الهواء يداعب أوراقها الغضة.

في اليوم التالي ظلّت فيرا تذرع البيت جيئةً وذهاباً، لا يقرّ لها قرار؛ فهي لا تكفّ تنتقل من هذه النافذة إلى تلك، تراقب الطريق، وتنتظر عودة زوجها بفارغ الصبر، وهي نهب للقلق والأمل.

أخيراً طفح كأس صبرها، فخرجت من البيت، وسارت في الدرب للقاء زوجها.

منذ أن رأته من بعيد بخطواته السريعة الواثقة، وقامته المنتصبة، أدركت أن كلّ شيء على ما يرام.

كان المأظوف مكسواً بالغبار، وهو لا يكاد يقف على قدميه من شدة الإرهاق والقلق والجوع والسهر، لكن وجهه كان طافحاً بالبشر والسرور.

ورداً على سؤال زوجته الصامت، الذي نطقت به تعبيرات وجهها، قال بمرح:

- كلّ شيء على ما يُرام.. ما إن وصلنا إلى هناك حتى راح



البروفيسور يتفحّص الشجيرات، وقد عقدت لسانه الدهشة، وشرع يتأمّلها كأنه لا يصدق عينيه، حتى إنه قطف عدة وريقات، وبدأ يعلكها. ولم يلبث أن سألني عن نوعها، فأجبته:

- إنها شجيرات البتولا على الأرجح.

عندها التفت نحوي ماداً يده وهو يقول:

- عفواً أيها الملازم، يبدو أنها الشيخوخة.

يا له من بروفيسور ممتاز.. الحقيقة أنني أشعر بالذنب؛ لأنني خدعته على هذا النحو.

سار الزوجان وقد تأبّط كل منهما ذراع الآخر، وهما لا يكفّان عن الضحك، فكان المارة يتوقفون، وينظرون إليهما بدهشة. وقالت فيرا وهي تضحك:

- حتى الآن لم أكن أهتم بالليلاك كثيراً، ومن الآن فصاعداً سيصبح زهرتي المفضّلة.

الهوامش

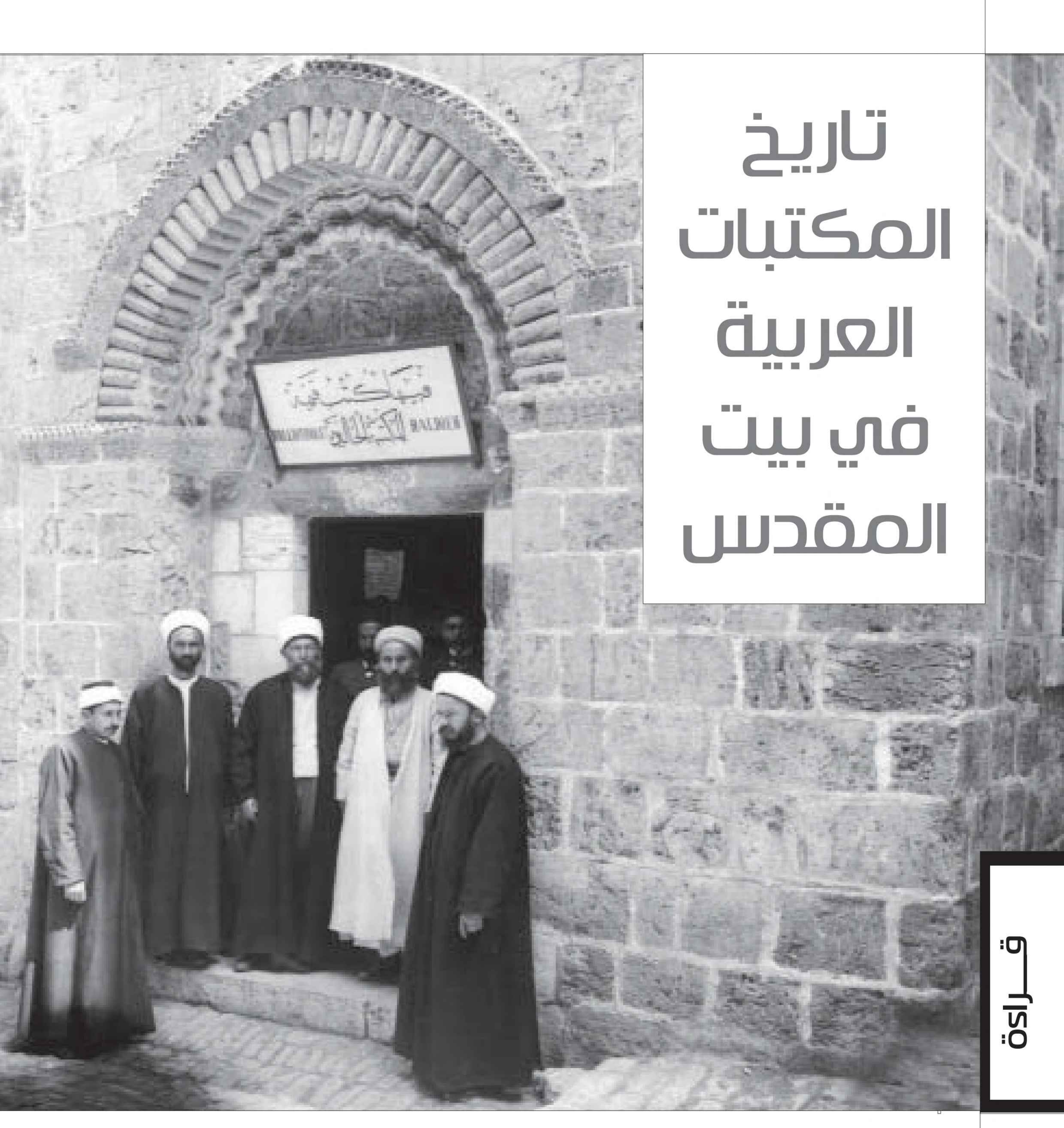
(*) ألكسندر كوبرين (١٧٨٠- ١٩٣٨م): من كبار الكتّاب الواقعيين الروس في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومن أشهر قصصه: مولوخ، والمبارزة، وسوار العقيق، وغيرها.

(١) كولا: صيغة التدليل من اسم نيقولاي.

(٢) الليل البطرسبورغي القصير: من المعروف أن بطرسبورغ تقع في الشمال الروسي، وفي فصل الصيف يكون الليل فيها قصيراً جداً، وتُعرف ليالي الصيف فيها بالليالي البيضاء؛ لانعدام الظلمة فيها.

قراءة

تاريخ المكتبات العربية في بيت المقدس



إبراهيم باجس عبدالمجيد
الرياض – السعودية

تظلُّ القدس -كمكة المكرمة والمدينة المنورة- هي الجامعةَ والموحِّدةَ لقلوب العربِ والمسلمين، وتظلّ قلوبُهم معلقةً بها وبمسجدها الأقصى، وما فيها من تراث عربي إسلامي عريق عراقة الإسلام نفسه. ومهما اختلف المسلمون فلن يختلفوا على حبّ مدينة بيت المقدس، والشوق إليها، والعمل على الحفاظ على التراث العربي والإسلامي، واستنطاق الإرث العريق في هذه المدينة العريقة.

كان معظم الكتب الموقوفة على المسجد الأقصى ذا نوعية فاخرة بدليل دوامها عبر العصور، وكان بعضها يرد من مدن أخرى



وقدأصدر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية كتاباً بعنوان: (تاريخ المكتبات العربية في بيت المقدس) في سنة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م في ٣٤٥ صفحة، وقد شرُفت بقراءته ومراجعته لمّا كان مسوّدةً قبل طبعه ونشره لمؤلفه المؤرخ بشير عبدالغني بركات، ورأيت فيه علماً غزيراً، استقى المؤلف مادته من أصول الينابيع، فرجع إلى السجلات الشرعية في المحكمة الشرعية في القدس، كما رجع إلى المخطوطات المقدسية الأصلية، سواء الموجود منها في مكتبات القدس أم التي انتقلت إلى غيرها من مكتبات العالم.

وفي التعريف بهذا الكتاب أجدني مضطراً في كثير من الأحيان إلى النقل المباشر مما كتبه المؤلف، مع التصرّف في بعض العبارات. ولعلّني في ذلك أزيد شوق القارئ إلى الرجوع إلى الكتاب نفسه؛ لينهل من مادته، فما أقدمه لا يروي غليلاً، ولا يشفي عليلاً.

الكتاب.. لماذا؟

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب: «تفخر مدينة بيت المقدس

الجزء الأول من «تفسير القرآن العظيم» لابن عطية



القبة النحوية



كان يقوم بعملية بيع الكتب الناسخون أنفسهم من دون استخدام دكاكين خاصة لذلك، أو بواسطة الدلالين؛ حيث كان دلال الكتب ينادي عليها في الأسواق

فيما تفخر بمكتباتها التاريخية، التي فتحت أبوابها أمام العلماء والباحثين والطلبة عبر العصور. وقد نُشرت عدة دراسات حول تاريخ تلك المكتبات، لكن أكثرها يفتقر إلى الموضوعية والإحصاءات الدقيقة». ويقول بعد ذلك: «إن الغرض الرئيس من هذا الكتاب هو استعراض تلك المكتبات التي تأسّست في بيت المقدس خلال العهد العثماني بوصفها من أهم المؤشرات التي تبيّن لنا مستوى الحياة الثقافية والعلمية في ذلك العهد الذي قلّل من شأنه بعض المؤرخين والتربويين بعد خضوع بيت المقدس للاحتلال البريطاني. وقد بذلتُ وسعي في هذا الكتاب نحو تغطية شاملة لكافة المكتبات والكتب المقدسية خلال العهد المذكور؛ حيث راجعت سجلات محكمة القدس الشرعية التي تحتوي على تفاصيل حول مكتبات المشاهير ومحتوياتها ووقفياتها، إضافةً إلى مراجعة المصادر المطبوعة القليلة التي تحدثت عن بعض المكتبات المقدسية. كما أنني فهرست عدداً من المجموعات المحفوظة في بعض المكتبات العامة والخاصة في القدس؛ مما أتاح لي مراجعتها ومعرفة كثير من ناسخيها وملاّكيها عبر العصور».

صناعة الكتاب في القدس

يبدأ المؤلف كتابه بالحديث عن صناعة الكتب في بيت المقدس؛ نسخاً وتجليداً وتوزيعاً وترميماً. ففي مجال نسخ المخطوطات، وهو المرحلة الأولى والمهمة من مراحل صناعة الكتب، كان كثير من العلماء ينسخون ما يرغبون من مخطوطات بأيديهم، لكن لمّا «كان النسخ أهم مراحل صناعة الكتاب، وأكثرها تكلفة؛ لذا شكّلت تلك المهنة مصدر رزق حتى لبعض أكابر العلماء؛ حيث كانوا يمارسون النسخ في أوقات فراغهم في المسجد الأقصى، أو في مدارسهم ومنازلهم... وحيث كان النسخ عملاً شاقاً، ويستغرق وقتاً طويلاً، فنادراً

ما كان الناسخون ينسخون كتباً حسب ميولهم ورغباتهم الشخصية؛ فقد لا تلقى رواجاً، فيذهب جهدهم هباءً؛ لذا كانوا يعقدون في الغالب صفقات مع العلماء لنسخ كتب محددة حسب طلباتهم مسبقاً. وكانت جودة الخط تختلف من ناسخ إلى آخر، فكانت أجورهم تتفاوت تبعاً لذلك».

ويورد المؤلف معلومات مهمّة وجداول إحصائية عن الناسخين في القدس منذ القرن الثامن الهجري في العهد المملوكي حتى القرن الرابع عشر الهجري في أواخر العهد العثماني، وانتماءاتهم العائلية، وعدد المخطوطات التي نسخوها في كلّ قرن من هذه القرون. كما يتحدث عن أدوات النسخ المستخدمة في تلك الحقبة من ورق وحبر وأقلام، مبيناً ما كان يُصنع منها في القدس، وما كان يُستورد من البلدان الأخرى؛ مثل: مصر، والشام، وحماة، والبلدان الأوربية.

التجليد وبيع الكتب

فيما يخصّ التجليد يذكر المؤلف أنه «بعد الفراغ من نسخ ورق الكتاب كان بعض الناسخين يرسلها إلى فنان يزخرفها ويذهّبها، وبعد ذلك يرسلها إلى مجلّد يقوم بخياطة الملازم وتغليفها بجلدٍ أو ورقٍ مقوّى. وقد يزين الغلاف -حسب رغبة العالم الذي طلب نسخ الكتاب- بإطارات مذهبة وأشكال هندسية ورسوم نباتية». كما يقول عن المجلِّد: كان «يمارس عمله في دكان مستقلّ يستأجره في السوق حسبما تشير سجلات المحكمة الشرعية بالقدس». ويورد اسم مجلِّد واحد من العصر المملوكي، وأسماء عشرة من المجلِّدين في العصر العثماني، معظمهم من العجم، ويشير أيضاً إلى أن العجم احتكروا مهنة التذهيب أيضاً. ويذكر أن «قاضي القدس كان يعيّن نقيباً على المجلِّدين، بحيث يرعى مصالحهم، ويحلّ مشكلاتهم، ويمثّلهم لدى الوالي والقاضي؛ ففي عام ١١٠٢هـ/ ١٦٩١م عيّن القاضي خليل أفندي الشيخَ منصور ابن الحاج عبدالرحمن شيخاً ومتكلماً على جماعة المجلِّدين للكتب ودلالين الكتب؛ لكون أنه ماهر في صناعته، ولعفته وديانته وأمانته».

أما عملية بيع الكتب، فقد كان يقوم بها الناسخون أنفسهم من دون استخدام دكاكين خاصة لذلك، أو بواسطة الدلالين؛ «حيث كان دلال الكتب ينادي عليها في الأسواق، أو يعرضها على أساتذة المدارس وطلابها، فكان يقوم مقامَ الموزّع في العصر الحديث. وكان الدلال يمارس عمله بعد الحصول على ترخيص رسمي، كما في عام ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م؛ حيث أقام قاضي القدس الشريف الشيخَ صالح ابن المرحوم الشيخ شهاب الدين، الشهير بابن عُقبة، دلالاً لبيع الكتب التي تُباع بمدينة القدس الشريف، ويعرضها على طلبة العلم والعلماء الكرام ومشايخ الإسلام القاطنين بالمدينة المذكورة. وفي عام ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م نصب الحاكمُ الشرعي السيدَ موسى البتيري شيخاً على من يتعاطى بيع الكتب بالقدس الشريف».

تعيين أمين للمكتبة

لمّا كانت الكتب عُرضةً للتلف والضرر ظهرت في بيت المقدس مهنة الترميم، ويورد المؤلف أسماء عدد من الأشخاص الذين عُيِّنوا رسمياً لترميم المخطوطات، خصوصاً المصاحف، في المكتبات العامة.

وبعد الحديث عن صناعة الكتب يتحدث المؤلف عن المكتبات والخزائن التي كانت تحوي هذه الكتب والمخطوطات، فيبدأ بذكر خزانة قبة الصخرة المشرّفة، «التي تُعدّ من أقدم المكتبات العامة في مدينة بيت المقدس... وكان محسنون من أهل المدينة وزائريها ومحبيها يرفدونها بالكتب من خلال وقفيات يتم تسجيلها لدى قاضي القدس... وقد استمرت تلك الخزانة في تقديم خدماتها للعلماء والطلبة إلى أن تمّ نقل ما تبقى من مصاحفها وكتبها إلى المتحف الإسلامي ودار كتب المسجد الأقصى خلال عهد المجلس الإسلامي الأعلى». ويذكر المؤلف

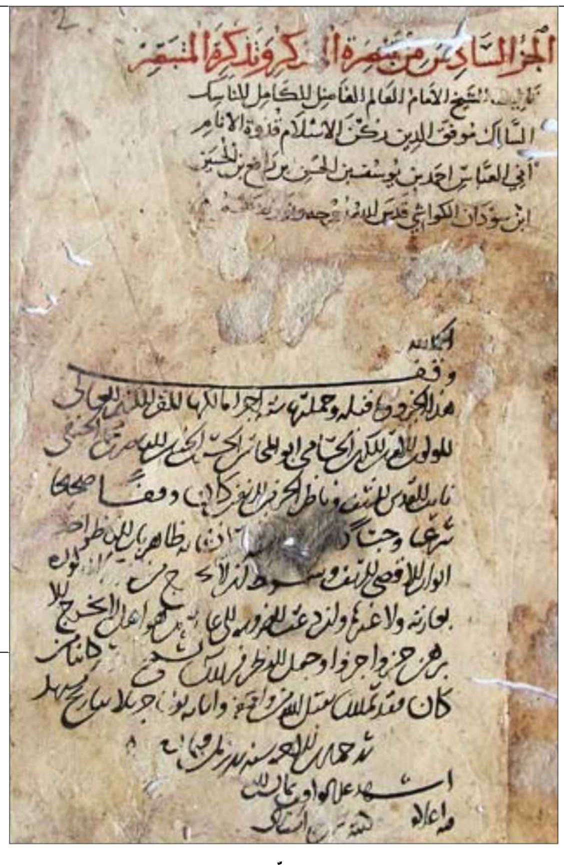
استقى المؤلف مادة كتابه من أصول الينابيع؛ فرجع إلى السجلات الشرعية في المحكمة الشرعية في القدس، كما رجع إلى المخطوطات المقدسية الأصلية

المؤرخ بشير بركات محب القدس

عمل المؤرخ بشير عبدالغني بركات جاهداً على إحياء التراث المعرفي في القدس، والتعريف به، من خلال إصدار مجموعة من الكتب والدراسات حول التاريخ القديم والحديث لبيت المقدس، مع العناية بمكتباته، وعمل فهارس لدور المخطوطات فيها؛ مثل: مكتبة دار إسعاف النشاشيبي، التي يديرها منذ عام ١٩٩٩م؛ فقد أصدر كتاباً في جزأين يشمل فهارس هذه المكتبة العريقة، كما أصدر فهارس لمخطوطات الزاوية الأزبكية في القدس.

وحبُّ المؤرخ بشير بركات القدس دفعه إلى البحث في تاريخها، وتاريخ رجالاتها؛ فقدّم في ذلك مجموعةً من الكتب والدراسات؛ مثل: القدس الشريف في العهد العثماني، ومباحث في التاريخ المقدسي الحديث (ثلاثة أجزاء)، وشخصيات القدس في القرن العشرين، وصناعة الكتب في القدس في العصر العثماني، وتاريخ الساعات في مدينة بيت المقدس خلال العهد العثماني، وتاريخ التركمان في فلسطين وحاضرهم. كما يعكف الآن على تأليف بعض الكتب في المعارف المقدسة، منها:

- موسوعة مشاهير بيت المقدس: وتشمل العلماء والخطباء والقضاة والمفتين وغيرهم من المشاهير الذين برزوا في بيت المقدس منذ الفتح العمري حتى يومنا هذا، ومن بينهم شخصيات لم يسبق أن نُشر عنها أيّ شيء حتى الآن، خصوصاً في الحقبة العثمانية.
- موسوعة بيت المقدس: وتتناول معلومات لم تُنشر من قبل عن الزلازل والمجاعات وترميم المباني والألفاظ الدارجة وغير ذلك من المعلومات المستمدة بالدرجة الأولى من سجلات محكمة القدس.



«تبصرة المتذكّر وتذكرة المتبصّر» لابن سودان الكواشي

مصادر كثير من الكتب والمخطوطات التي وُقفت على هذه المكتبة منذ القرن الثامن حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجريين، كما يذكر أنه «بعدما اكتظت خزانة قبة الصخرة المشرفة بالمصاحف والكتب برزت الحاجة إلى مسؤول يتولّى أمرها، فأصبح قاضي القدس يعيّن أميناً على المكتبة بهدف الحفاظ على سلامة كتبها، والإشراف على ترميمها وإعارتها وجردها، وكان الناظر يعيّن نائباً أو وكيلاً عنه في فترة غيابه». ويورد المؤلف أسماء عدد من الذين تولّوا الإشراف على مكتبة قبة الصخرة المشرفة.

مكتبات المدارس والزوايا

بعد الحديث عن مكتبة قبة الصخرة المشرفة يتحدث المؤلف عن مكتبات المدارس والزوايا والأروقة؛ فقد «دأب مشايخ بعض المدارس والزوايا والأروقة في بيت المقدس على تأسيس مكتبات صغيرة مستقلة تكون تحت تصرف روّادها ونزلائها. وقد تفاوتت تلك المكتبات من حيث الحجم والأهمية. وكان بعض الناسخين يفضّلون إنجاز أعمالهم في تلك الأماكن الهادئة». ويذكر من مكتبات تلك المدارس: المدرسة الغزالية؛ نسبةً إلى أبي حامد الغزالي، وهي من أقدم تلك المدارس، والمدرسة الناصرية الصلاحية، التي وقفها الناصر صلاح الدين الأيوبي على الشافعية، والمدرسة الإسعردية، التي وقفها الخواجا مجد الدين عبدالغني الإسعردي سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، والمدرسة الحسنية التي أنشأها ووقفها الأمير حسام الدين الحسن بن ناصر الدين، الشهير بالكشكيلي، سنة

٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م، والمدرسة الطولونية، التي أنشأها شهاب الدين أحمد بن محمد الطولوني الظاهري قبل سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م، والمدرسة العثمانية التي وقفتها أصفهان خاتون بنت محمود العثمانية سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م، والمدرسة الجركسية، والمدرسة الموصلية، والمدرسة التنكزية، ومدرسة الأمير عيسى الهكّاري، المعروفة بدار الحديث.

أما الزوايا، التي كانت تُعرف بالخوانق (جمع خانقاه)، فيذكر المؤلف عدداً منها؛ مثل: الخانقاه الباسطية التي عمّرها زين الدين عبدالباسط بن خليل الدمشقي، والخانقاه المولوية التي أنشأها محافظ القدس خداوردي بيك أواخر القرن العاشر الهجري، والزاوية الفخرية التي وقفها فخر الدين محمد بن فضل الله، المتوفَّى سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، والزاوية الأزبكية التي أسّس مكتبتها الشيخ عبدالرسول شيخ الأزبكية بالقدس، المتوفَّى سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م، وزاوية النبي داود عليه السلام، وزاوية الهنود.

ومن أروقة المسجد الأقصى التي ضمّت عدداً من الكتب: رواق الأكراد، ورواق الشيخ منصور بن علي المحلاوي، ورواق المغاربة.

ويُلحظ من العرض المختصر لتلك المكتبات أن كثيراً منها أنشأها أو وقفها أُناس من غير أهل بيت المقدس، منهم: الأُزبك، والهنود، والمغاربة، والأكراد، كما كان منهم الأمراء والحكام والقضاة، وكان منهم الرجال والنساء على حدّ سواء.

الغرض الرئيس من هذا الكتاب هو استعراض تلك المكتبات التي تأسست في بيت المقدس خلال العهد العثماني بوصفها من أهم المؤشرات التي تبين لنا مستوى الحياة الثقافية والعلمية

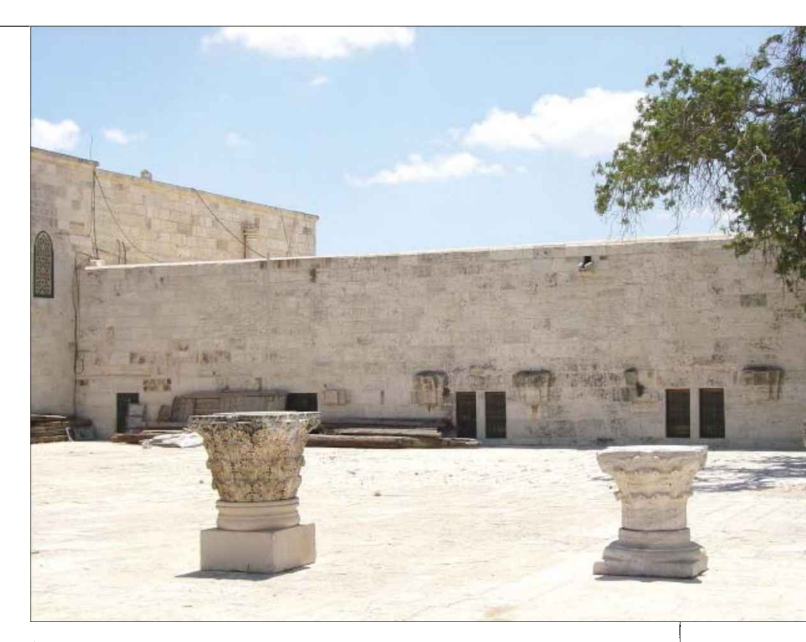
التفسير الكبير» للفخر الرازي المنسوخ في القرن الثامن تقديراً، وقفه أحد المحسنين على المدرسة العثمانية

مكتبات عائلية

يذكر المؤلف بعد ذلك المكتبات الخاصة الموجودة لدى بعض العائلات المقدسية، فيقول: «تفيدنا مخطوطات بيت المقدس وسجلات محكمتها الشرعية بأن العائلات المقدسية كانت تحتفظ بعشرات المكتبات الخاصة خلال العهد العثماني. ويشير ما تبقّى منها بين أيدينا إلى حرص النخبة العلمية على اقتناء أمهات الكتب مهما بلغت أثمانها في العهد المذكور. ورغم نقل أعداد كبيرة من تلك المخطوطات إلى خارج فلسطين فإن مكتبات بيت المقدس ما زالت تحتوي على العديد من المخطوطات القديمة التي كانت بحوزة تلك النخبة».

وقبل الحديث بالتفصيل عن المكتبات الخاصة، أو المكتبات العائلية، يورد المؤلف جداول إحصائية تخصّ هذه المكتبات، ومن ذلك: جدول يبيّن العائلات التي تملّكت مكتبات خلال العهد العثماني، وعدد الكتب التي تملّكتها كل عائلة، وجدول آخر يبين أعداد الكتب التي كانت في بيت المقدس مرتبةً حسب القرون الهجرية من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، وجدول آخر يبيّن عدد المخطوطات التي كانت موجودة في المكتبات المعاصرة عند بعض العائلات المقدسية مرتبةً حسب تواريخ النسخ، وجدول آخر يبيّن مخطوطات المكتبات العائلية مقارنةً بمخطوطات المكتبات المعاصرة منذ القرن العاشر حتى القرن الرابع عشر الهجريين.

ثم يأتي المؤلف على ذكر المكتبات العائلية في بيت المقدس،



جامع النساء يضم مكتبة المسجد الأقصى حالياً

ويذكر من برز من هذه العائلات من علماء ووعّاظ ومؤلفين، وما وقفوه من كتب على مكتباتهم الخاصة، أو على غيرها من المكتبات. وهذه العائلات المقدسية هي: عائلة أبو اللطف (جار الله)، وعائلة الديري (الخالدي)، وعائلات الخليلي، وعائلة العلمي، وعائلة أبو السعود الداودي، وعائلة حبيش (البديري)، وعائلة العجمي، وعائلة قاضي الصلت (الإمام)، وعائلة الحسيني، وعائلة العفيفي، وعائلة السروري، وعائلة الأنصاري الداودي، وعائلة الخطيب الكناني، وعائلة المعري (عويضة)، وعائلة القطب، وعائلة شكي مكي (وهبة)، وعائلة نسيبة، وعائلة الدجاني، وعائلة الفتياني، وعائلة الشهابي، وعائلة الجاعوني، وعائلة الصالح، وعائلة الدقاق، وعائلة الوفائي الحسيني، وعائلة قطينة.

ثم يفرد الحديث عن مكتبات المغاربة؛ إذ «استقرّت الجالية المغربية في القدس منذ الفتح الصلاحي، وجمع كثيرٌ من علمائها مكتبات اختصّ بعضها بالفقه المالكي». ويذكر كثيراً من العلماء المغاربة الذين تملّكوا الكتب، ووقفوها على مكتباتهم الخاصة، أو على مكتبة المسجد الأقصى، وغيرها من المكتبات داخل بيت المقدس وخارجه. ويذكر المؤلف أن «غالبية مكتبات المغاربة تبعثرت في القدس وخارجها، وحُمل بعضها إلى دار الكتب الظاهرية في دمشق، واختفى أغلبها بعد تدمير حارة المغاربة بالجرافات بُعيد حرب عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م».

وتحت عنوان (مكتبات أخرى) يذكر المؤلف أن كثيراً من أعيان القدس أسّسوا «مكتبات أخرى جديرة بالذكر، ومن بينهم قضاة ومفتون وعلماء، ما زال أحفاد بعضهم يقيمون في القدس، بينما انقرضت ذرية آخرين». ويذكر المؤلف أن المكتبات التي ضمّت ٢٠ كتاباً فأكثر بلغ مجموعها ٧٣ مكتبة، ضمّت ٥٣٩٤ كتاباً، وسرد أسماء عدد كبير من الأعيان والعلماء الذين اقتنوا مكتبات خاصة في بيت المقدس.

وقف الكتب

في حديثه عن (وقف الكتب) يذكر المؤلف أن سجلات المحكمة الشرعية والنصوص المثبتة على معظم المخطوطات المقدسية تفيد أنها كانت موقوفة. وكان أكثر ملاكي المخطوطات يقفونها على ذرياتهم. كما «كان أكثر الواقفين على الذُّرية يشترطون تحويل الكتب إلى مسجد أو مدرسة معينة أو إلى طلبة العلم بشكل عام في حال انقراض ذريتهم»، ويقول: أما «الكتب الموقوفة على المسجد الأقصى فكان معظمها ذا نوعية فاخرة بدليل دوامها عبر العصور. وكان بعضها يرد من مدن أخرى».

ويتحدث المؤلف عن الإجازات والأسانيد؛ لارتباطها بالكتاب المخطوط. وهذه الإجازات هي بمنزلة الشهادات العلمية التي تُمنح إلى الطلبة في وقتنا الحاضر، وتُعطى من الشيخ لمن قرأ عليه كتاباً معيناً، أو درس عليه علماً من العلوم. ويذكر في هذا الصدد مجموعة من الإجازات التي منحها علماءُ مقادسة طلبتهم. كما يذكر إجازاتٍ وأسانيدَ خطَّها علماء غير مقدسيين في القدس، وكذلك يورد مجموعة من الإجازات والأسانيد لعلماء من غير أهل بيت المقدس دُوِّنت على مخطوطات جُلبت إلى مكتبات هذه المدينة الشريفة.

ويتعرّض المؤلف إلى فئة يتعلق عملها بصناعة الكتاب، وهم الخطاطون؛ إذ «برز في بيت المقدس العديد من الخطاطين في مختلف العصور، وكان دورهم أساسياً في تعليم ناسخي المخطوطات وكُتاب المحاكم والدواوين فن الخط». ثم ذكر عدداً وافراً منهم.

المكتبات الحديثة

عرّج المؤلف على الحديث عن المكتبات الحديثة، فذكر أنه «بعد زوال الحكم العثماني تم تأسيس عدد من المكتبات العربية العامة في القدس التي كانت تقدم خدماتها للرواد على النهج المعاصر. وكان من أهمها دار كتب المسجد الأقصى». وذكر أيضاً من بين هذه المكتبات: مكتبة محمد إسعاف النشاشيبي، ومكتبة الكلية العربية، ومكتبة متحف الآثار الفلسطيني، ومكتبة خليل السكاكيني، وغيرها من المكتبات.

دأب مشايخ بعض المدارس والزوايا والأروقة في بيت المقدس على تأسيس مكتبات صغيرة مستقلة تكون تحت تصرف روادها ونزلائها

المدرسة الإسعردية



ثم يعود المؤلف إلى الحديث عن المخطوطات المقدسية، فيذكر ما نُقل منها إلى خارج فلسطين، خصوصاً في أواخر العهد العثماني. وقد توزّعت هذه المخطوطات في مختلف المكتبات العالمية؛ مثل: مكتبات سورية، وتركيا، والسعودية، والعراق، وأمريكا، وألمانيا، وغيرها من البلدان.

ثم يسرد المؤلف قائمة بالناسخين، وما نسخوه من مخطوطات في العهدين المملوكي والعثماني. وأفرد من بين هؤلاء من ينتمون إلى عائلات مقدسية معروفة؛ مثل: الحسيني، والعجمي، وبالي، وأبو اللطف، والتميمي، والخليلي، وغيرهم؛ إذ كثر الناسخون في هذه العائلات.

ويختم المؤلف كتابه بالحديث عن الطباعة في بيت المقدس، فيذكر أن الزوار الأوربيين كانوا يحملون معهم بعض الكتب المطبوعة بلغاتهم أو باللغة العربية. «ومن بين أوائل المطبوعات التي دخلت بيت المقدس، واستقرّت في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي في القدس، كتاب The Turkish History للمؤرخ J. Savage، المطبوع في لندن عام ١١١٣هـ/ ١٧٠١م، والذي يضم تاريخاً وتراجمَ مصورةً للخلفاء العثمانيين حتى العام المذكور، وكتاب (مقامات الحريري) المطبوع عام ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م ممزوجاً بترجمة إلى اللاتينية أعدها Alberto Schultens». ويذكر أن تاريخ الطباعة في القدس بدأ سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، «وتلا ذلك تأسيس العديد من المطابع في القدس، حيث بلغ عددها ١١ مطبعة في العهد العثماني، و١١ أخرى خلال الاحتلال البريطاني». وذكر مجموعة من هذه المطابع، وتاريخ تأسيسها، وما كانت تطبعه من كتب ومجلات وصحف.

وفي آخر الكتاب يورد المؤلف نماذج مصوّرة من بعض المخطوطات المقدسية القديمة والمهمة، كُتبت في تواريخ مختلفة، يرجع بعضها إلى القرن الثامن الهجري.

وفي الختام أقول: لقد أحسن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية صنعاً بطباعة هذا الكتاب، وأراه رافداً مهماً للمكتبة العربية، يعمل على التعريف بالتراث المقدسي، والمعرفة المقدسية، من خلال التعريف بالمكتبات والعلماء والكتب في بيت المقدس.



استطلاع

جامعة الملك سعود:

رؤية إستراتيجية لريادة عالمية

حسين حسن حسين

هيئة التحرير

تصوير: عبدالرشيد شمس الدين

جامعة الملك سعود هي أول زهرة تفتّحت في حدائق جامعات المملكة العربية السعودية؛ فقد جاء تأسيسها في عام ١٩٥٧م، ومنذ ذلك التاريخ وهي تؤدي دوراً مهماً في قطاع التعليم العالي والبحث العلمي، وفي دفع حركة التنمية بطاقات بشرية مؤهّلة لها إسهامها البارز في التخطيط والتنفيذ.

ويتزايد دور هذه الجامعة مع خطتها التطويرية الأخيرة المتمثّلة في أول برنامج للأوقاف الجامعية على مستوى المملكة، وبرنامج كراسي البحث، وواحة وادي الرياض للتقنية، وطموحها أن تكون رائدةً في مجالي التعليم العالي والبحث العلمي إقليمياً ودولياً.

شهدت جامعة الملك سعود في مرحلتها التطويرية المعاصرة

حراكاً بحثياً وتطويرياً وتحولاً نحو الاستثمار في معارفها ومخرجاتها البحثية منذ إطلاقها خطتها الإستراتيجية ٢٠٣٠م، ورؤيتها الجديدة في مطلع عام ٢٠٠٧م (الريادة العالمية والتميّز في بناء مجتمع المعرفة)، ورسالتها «تقديم تعليم مميّز، وإنتاج بحوث إبداعية تخدم المجتمع، وتسهم في بناء اقتصاد المعرفة، من خلال إيجاد بيئة حافزة للتعلم والإبداع الفكري، والتوظيف الأمثل للتقنية، والشراكة المحلية والعالمية الفاعلة».

هدفت الجامعة بهذه الرؤية إلى تجديد شبابها، ومواكبة العصر، بتحسين مخرجات البحث العلمي من خلال التركيز في البحوث النوعية والبينية، التي تؤدي في نهاية المطاف إلى تسجيل براءات اختراع عالمية، وتأسيس شركات ناشئة تساهم في بناء الاقتصاد المعرفي، وسد احتياجات سوق العمل، والحد من البطالة.

وجاء تبنّي الجامعة هذا التوجه الجديد من إدراكها، من واقع التعمق في الملامح البحثية والتطويرية للقرن الحادي والعشرين، أن المعرفة هي أهم مكونات الثروة لدى الأمم؛ لذا آلت على نفسها الإسهام في توليد المعرفة، وضمان الجودة في التعليم العالي والبحث العلمي، والسعي من أجل الريادة العالمية، والمساهمة في تحول المملكة نحو الاقتصاد المعرفي.

وتبنّت الجامعة في سبيل ذلك سلسلة من البرامج والمبادرات التي تعزّز التميّز البحثي في جميع مجالات التخطيط والعمليات داخل حرمها الجامعي، التي تضعها بين المؤسسات الأكاديمية والبحثية الرائدة على المستويين الإقليمي والدولي. وشملت هذه المبادرات جميع جوانب رسالة الجامعة: التعليمية، والبحثية، والتوعوية، إضافةً إلى وحداتها المساندة.



وادي الرياض تطلّع طموح
إلى مجتمع المعرفة

ملامح الخطة الإستراتيجية

تتبنى الخطة الإستراتيجية للجامعة ٢٠٣٠م على تجارب ٩٥ جامعة عالمية في أكثر من ١٣ دولة متقدمة، منها: هارفارد، و MIT، وأكسفورد، وكمبريدج، وسنغافورة الوطنية. وتقوم هذه الخطة على إدراج الاقتصاد المعرفي، وريادة الأعمال، وتطوير مهارات الطلاب، وتوظيف الخريجين ضمن خططها التنفيذية، من خلال إطلاق كثير من البرامج التطويرية، منها: معهد الملك عبدالله لتقنية النانو، ومعهد الأمير سلطان للتقنيات المتقدمة، ومعهد الأمير نايف للأبحاث الصحية، ومعهد الأمير سلمان لريادة الأعمال، ومشروع وادي الرياض للتقنية، وبرنامج الأوقاف الجامعية، وبرنامج السنة التحضيرية، وعمادة تطوير المهارات وحاضنة الرياض للتقنية، وبرنامج كراسي البحث، ومركز الابتكارات وبرنامج حقوق الملكية الفكرية وترخيص التقنية، واستقطاب علماء نوبل والعلماء المتميزين في مجالات حيوية تتطلبها التنمية المستديمة للمملكة. وتسعى الجامعة وفق رؤيتها المعاصرة إلى التميز البحثي، والاعتراف الدولي، مع سعيها -بالتوازي مع شقيقاتها من الجامعات السعودية- إلى أداء دور رئيس في التوجه الإستراتيجي للمملكة العربية السعودية نحو بناء الاقتصاد المعرفي، وتحقيق التنمية المستديمة.

إنجازات مرحلة التطوير

- الاعتماد الأكاديمي:

تحرص الجامعة على حصول جميع برامجها الأكاديمية على

الاعتماد الأكاديمي المؤسسي، علماً أن ٧ كليات و٣٨ برنامجاً حصلت مؤخراً على الاعتماد الأكاديمي المؤسسي، الذي يُعدّ تتويجاً لجهود الجامعة في التطوير والجودة، ويؤكد أن معيار الجودة هو أهم معيار وعامل مشترك بين أعرق الجامعات وأحدثها في مجال التعليم العالي.

- **نظام الجودة الإدارية:**

حصل ما يزيد على نصف الكليات والوحدات والبرامج في جامعة الملك سعود على شهادة الأيزو ٩٠٠١ من المنظمة الدولية للمواصفات والمقاييس (أيزو)، وتسعى الجامعة إلى أن تحصل الكليات والوحدات والبرامج المتبقية على شهادة الأيزو في نهاية عام ٢٠١٢م.

- **النشر العلمي:**

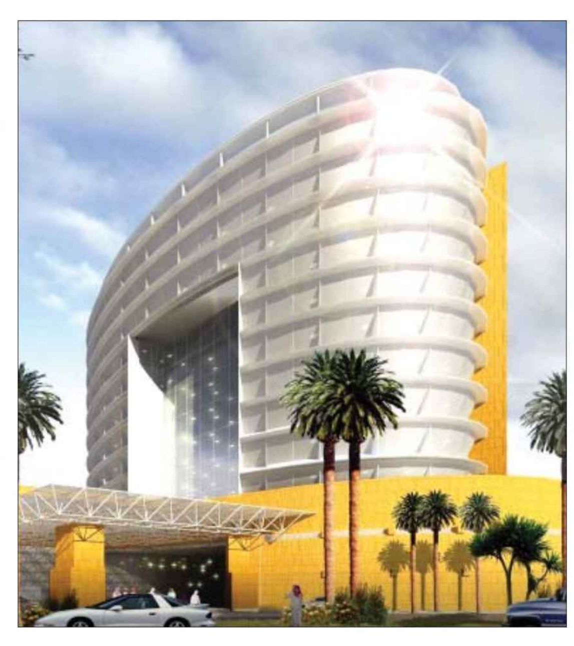
تزايد عدد البحوث المنشورة باسم جامعة الملك سعود في قاعدة بيانات ISI العالمي إلى أربع أضعاف منذ سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م؛ ليصل إلى ٢١٢٤ بحثاً في سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، وهو ما يعادل جميع البحوث المنشورة باسم جامعات المملكة الأخرى تقريباً.

- **الأقوى علمياً:**

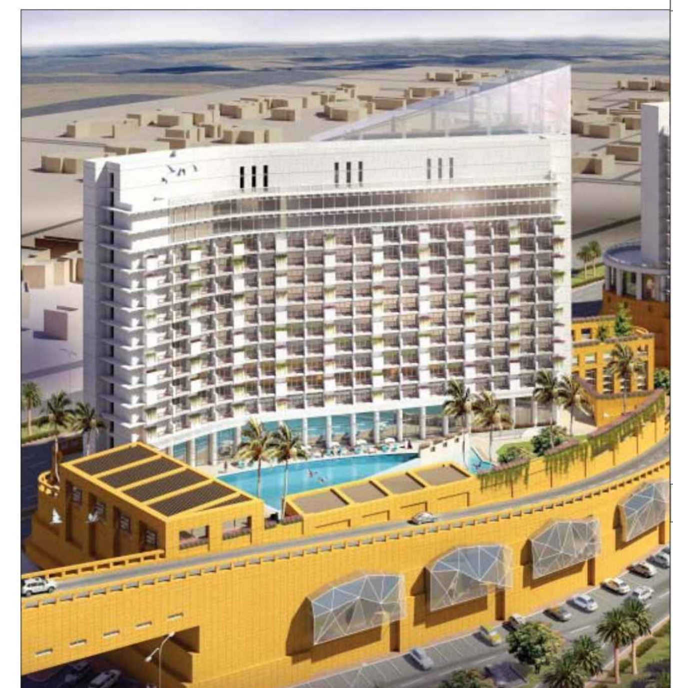
حصلت مجلّتا العلوم Science والطبيعة Nature على لقب أقوى مجلتين علميتين على المستوى العالمي، وحصدت جامعة الملك سعود ٧ بحوث في مجلتي العلوم والطبيعة حتى ديسمبر عام ٢٠١١م.

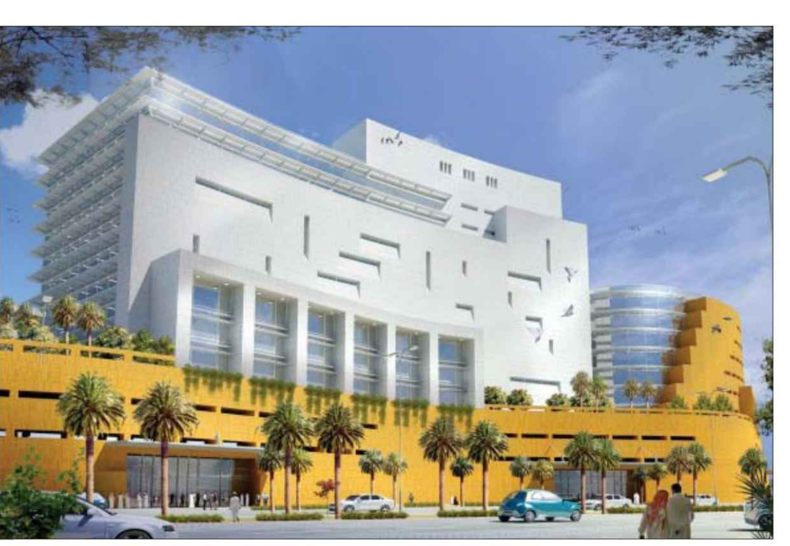
- **براءات الاختراع:**

حقّقت الجامعة أكبر عدد من براءات الاختراع في المنطقة خلال المدة من عام ٢٠٠٦م حتى أكتوبر عام ٢٠١١م، وتضاعف متوسط الإيداع إلى أكثر من أربعين ضعفاً؛ ليصل إلى ٢٨٠ براءة اختراع،



أوقاف جامعة الملك سعود مشروع المستقبل





مسجلة ومنشورة ومودعة باسم جامعة الملك سعود في المكاتب الإقليمية والعالمية المختلفة، ٥٠٪ منها في مكتب براءات الاختراع الأمريكي، وهناك أكثر من ٦٠٠ نموذج إفصاح عن اختراعات لمنسوبي جامعة الملك سعود في المكاتب الإقليمية والعالمية المختلفة.



تحتضن الجامعة وادي الرياض للتقنية، وهو مشروع وطني يهدف إلى إحداث التغيير المجتمعي نحو بناء مجتمع يقوم على اقتصاد المعرفة

أهلت الإنجازات العلمية التي حقّقتها الجامعة دخولها في التنافسية العالمية، وحصولها على ترتيب متقدم

- **أوسمة الملك عبدالعزيز:**

جاءت جامعة الملك سعود الأولى في الحصول على أوسمة الملك عبدالعزيز من الدرجتين الممتازة والأولى على المستوى الوطني.

- **خدمة المجتمع وتنميته:**

حقّقت كليات الجامعة نسبةً عاليةً من المشاركة في القضايا المجتمعية؛ فعلى سبيل المثال: تعالج مستشفيات الجامعة ما يقارب من ٧٠٠ ألف مريض سنوياً، إلى جانب تنويم ٦٥ ألفاً، وإجراء نحو ٣٢ ألف عملية. وبحلول عام ٢٠١٣م ستحوي الجامعة أكبر مدينة طبية على المستوى الإقليمي لتقديم العلاج لنحو ١,٨ مليون مريض، وتنويم ١٥٠ ألفاً، وإجراء نحو ٩٠ ألف عملية سنوياً.

برنامج الأوقاف: الاستقلالية والتطلع للأفضل

يمثّل التمويل تحدياً كبيراً يواجه الجامعات التي تهدف إلى التطور، وقد أطلقت جامعة الملك سعود برنامج الأوقاف الجامعية على مساحة ١٨٠ ألف متر مربع؛ بهدف تحقيق الاستقلالية المالية، وتنمية الموارد الذاتية للجامعة، وإيجاد مصدر دخل ثابت ودائم لدعم أنشطة البحث والتطوير والتعليم، ودعم العلاقة بين الجامعة والمجتمع.

ويتكون مشروع الأوقاف الجامعية من ١١ برجاً، تشمل أبراجاً فندقية فئة سبع نجوم، بمحفظة استثمارية عقارية بلغت أربعة مليارات ريال سعودي، من خلال الدعم السخيّ من ولاة الأمر حفظهم الله، ورجال الأعمال والمؤسسات والشركات، ومنسوبي الجامعة والمواطنين من محبي الجامعة والمؤمنين برسالتها.

الكراسي البحثية: ترسيخ الشراكة المجتمعية

حرصاً على ضمان مصدر دخل مستقلّ لدعم الأبحاث العلمية المتخصصة، ووضع مخرجاتها في خدمة المجتمع، أطلقت الجامعة مشروع الكراسي البحثية؛ فتزايد عدد كراسي البحث من ١٧ كرسياً في سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م إلى ١٣٠ كرسياً في عام ٢٠١١م، وهو يشكّل نسبة ٥٥٪ من مجموع كراسي البحث في

المملكة العربية السعودية، بمحفظة تصل إلى نصف مليار ريال.

التوأمة العلمية العالمية

تقيم جامعة الملك سعود شراكات قوية مع الجامعات الرائدة والمعاهد والمراكز البحثية والأكاديمية المتميزة، بلغ عددها ١١٥ اتفاقية، منها ٩٠٪ على المستوى العالمي، و١٠٪ على المستوى المحلي.

استقطاب المتميزين

تعمل الجامعة على استقطاب العلماء والأساتذة والباحثين المتميزين، منهم ١٤ من العلماء الحائزين على جائزة نوبل، و٧٠٠ عضو هيئة تدريس، و١٠٠ أستاذ زائر، و٣٥٠ باحثاً، و٣٧٠ طالباً من طلاب الدراسات العليا، وذلك من أفضل الجامعات ومراكز البحوث العالمية في تخصّصات محددة ونادرة من أجل إيجاد التفاعل العلمي والتقني مع الجيل السعودي.

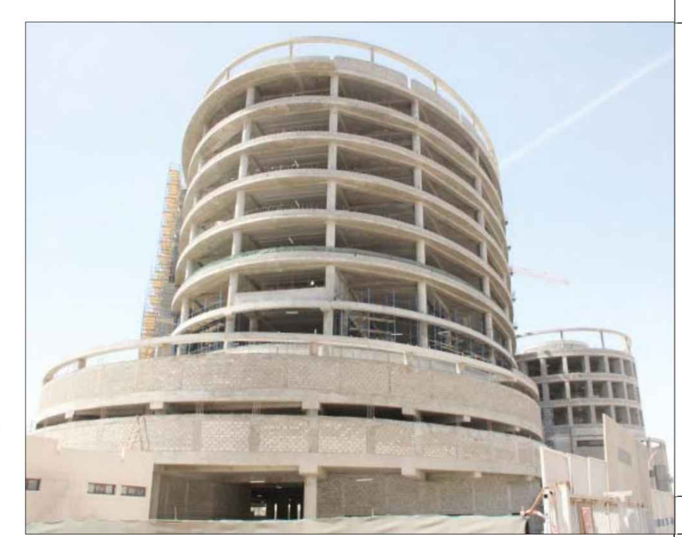
بوابة المملكة إلى الاقتصاد المعرفي

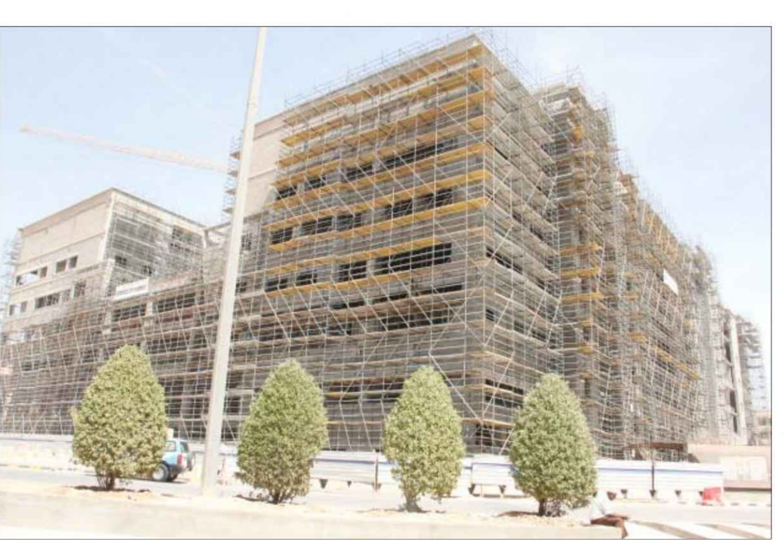
تحتضن جامعة الملك سعود وادي الرياض للتقنية، وهو مشروع وطني يهدف إلى إحداث التغيير المجتمعي نحو بناء مجتمع يقوم على اقتصاد المعرفة؛ مما يمهّد لدخول المملكة العربية السعودية إلى منظومة الدول المنتجة والمصدرة للمعرفة، بمحفظة استثمارية تقدّر بقيمة ٧ مليارات ريال، ومن المتوقع أن تصل خلال السنوات العشر المقبلة إلى ١٢ مليار ريال.

ومن ميزات هذا المشروع الرائد احتواؤه على المعاهد والمراكز البحثية المتميزة لولاة الأمر يحفظهم الله؛ مثل: معهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز لتقنية النانو، ومعهد الأمير سلطان لأبحاث التقنيات المتقدمة، ومعهد الأمير نايف لأبحاث العلوم الصحية، ومعهد الأمير سلمان لريادة الأعمال. كما أن للوادي سبعة مختبرات في سبع دول متقدمة، ويتوقع أن يصل عدد الشركات العالمية والمحلية المستضافة في الوادي إلى أكثر من ٨٠ شركة، وعدد مراكز البحوث التطبيقية المتخصصة إلى

العمل في تنفيذ مشروع الأوقاف







أكثر من ١٠ مراكز كبرى؛ مما يؤدي إلى توظيف ٣ آلاف باحث، و١٢ ألف خبير في مجالات التجارة والتسويق، وتوفير ٧ آلاف فرصة عمل للمساهمة في تقليص معدلات البطالة في المملكة؛ فعلى سبيل المثال: الشركة الوطنية (سابك) تنشئ بمفردها في الوادي أكبر مركزين للبحث والتطوير بقيمة ٢٠٠ مليون دولار، كما دخلت الجامعة في شراكة مع القوات الجوية، وشركة إيرسبيس- بوينج ساب أدجستا الإيطالية، ومعهد ستانفورد للأبحاث، وشركة ديجم الكورية.

ومن مكونات الوادي: أكثر من ١٨٠٠ مختبر ومعمل في مختلف التخصصات، وأكثر من ١٠٠ قسم أكاديمي متخصّص ومجهّز، وأكثر من ٣٥ جمعية علمية متخصصة، وعمادة متخصصة للبحث العلمي مرتبط بها ١٦مركزاً للبحوث، ومركز للحاسب الآلي والمعلومات يوفر البنية التحتية لشبكة الاتصالات والبرمجيات لكل الوحدات العلمية والبحثية، ومركز للإنتاج والبث التلفزيوني مجهّز لإنتاج البرامج والمواد الإعلامية التعليمية والبحثية وإخراجها، ومكتبة مركزية تضم أكثر من مليون ونصف المليون كتاب، إضافةً إلى كثير من الدوريات العلمية، والمكتبات الفرعية المتخصّصة، وعدد من المتاحف المتخصصة والمعامل المساندة لتجهيز مواد العرض ومعالجتها، ومستشفيان متخصّصان ومجهزان بأحدث التقنيات الطبية، إضافةً إلى عيادات للأسنان، ومركز للترجمة.

> **الاعتماد الأكاديمي تتويج لجهود الجامعة في التطوير والجودة، وتأكيد أن معيار الجودة هو أهم معيار وعامل مشترك بين أعرق الجامعات وأحدثها**



ذراع الاستثمار المعرفي

تعدُّ شركة وادي الرياض هي ذراع الاستثمار المعرفي التي تقوم باستثمار إمكانات الجامعة ومخرجاتها البحثية؛ لتعزيز مواردها المالية وتنويعها.

«تمكين» لرعاية الإبداع

تأسّس صندوق التنمية والاستثمار المعرفي (تمكين) لتسهيل التمويل وتوفيره لرعاية الإبداع والتجديد، وتأسيس الشركات الناشئة، ويبلغ رأس ماله نحو ١٦٠ مليون ريال. كما تم تأسيس عدد كبير من المشروعات الجامعية الإستراتيجية، وبلغت الأموال السخية التي خصّصتها الحكومة الرشيدة لهذه المشروعات ١٤ مليار ريال.

غزال: نقلة نوعية

شرعت الجامعة في إجراء البحوث وإعداد التصاميم ونماذج التصنيع لتأهيل أيدٍ وطنية وتدريبها لسدّ احتياجات سوق العمل، وتوفير آلاف فرص العمل للشباب السعودي، وحفز الأجيال الناشئة للتركيز في النواحي التطبيقية في تقنية التصنيع. وقد أسفر ذلك عن ابتكار مشروع سيارة (غزال) في ١٥ يونيو عام ٢٠١٠م، وهي أول سيارة يتم تصميمها وتصنيعها في المملكة على

يد فريق من الطلاب والمهندسين السعوديين في مركز التصنيع بكلية الهندسة بجامعة الملك سعود، ويعدُّ هذا المشروع نقلةً نوعيةً لتصنيع السيارات وقطع غيارها في المملكة.

برنامج السنة التحضيرية

تمّ إقرار برنامج السنة التحضيرية من أجل تأهيل الطلاب وتزويدهم بالمهارات المتميزة اللازمة في دورة حياتهم الأكاديمية والمهنية؛ مما يؤدي إلى تحسين مخرجات التعليم العالي، وتمكين الخريجين من الدخول مباشرةً إلى سوق العمل لتقليص ظاهرة البطالة في المملكة.

معهد الأمير سلمان لريادة الأعمال

يُعدُّ معهد الأمير سلمان لريادة الأعمال من أهم مبادرات جامعة الملك سعود في التخفيف من التهافت على الوظائف الحكومية، والحدّ من ظاهرة التضخم الوظيفي، من خلال استقطاب الشباب للعمل الحر، والمبادرات الفردية، والأعمال الريادية، واستثمار أموالهم وطاقاتهم في مشروعات صغيرة.

ويهدف المعهد إلى إيجاد مزيد من فرص العمل، والحدّ من ظاهرة البطالة، ورفع مستوى الاقتصاد الوطني من خلال تدريب روّاد الأعمال وتأهيلهم لإدارة منشآتهم التجارية، واحتضان المشروعات التجارية وتطويرها؛ لتكوين كيانات استثمارية ناشئة.

نقل التقنية والشركات الناشئة

تحوّلت مخرجات جامعة الملك سعود البحثية إلى شركات ناشئة (Start-ups)، فتم تأسيس ١٤ شركة استثمارية ناشئة، معظمها مملوكة لخريجي الجامعة.

بيئة تعليمية متميزة

عملت الجامعة من خلال تطوير خدمات الحكومة الإلكترونية على إيجاد بيئة تعليمية متميزة، وهي تتبنى التعليم الإلكتروني والتعليم من بُعد من خلال تطبيق مفهوم الجامعة الذكية Smart University (أكثر من ١٧٠٠ قاعة ذكية وتفاعلية مجهزة تجهيزاً تقنياً متكاملاً في جميع أنحاء الحرم الجامعي)، ونظام المجالس، ونظام البحث الإلكتروني الذكي، ونظام الترقيات، والنظام الإلكتروني للقبول والتسجيل لدرجتي الماجستير والدكتوراه.

مدخل المدينة الجامعية للطالبات





الجوائز العالمية

حصدت جامعة الملك سعود خلال الأعوام القليلة الماضية جوائز وميداليات عالمية كثيرة تدلّ على رسوخ خطاها، وتميّز أدائها، منها: جائزة هيئة الأمم المتحدة في تحسين تقديم الخدمات العامة لعام ٢٠١٠م عن دول غرب آسيا، وجائزة الشرق الأوسط الخامسة للتميز للعناية بخدمة العملاء، وجائزة المحتوى العربي الإلكتروني التابعة لجائزة القمة العالمية AWS لعام ٢٠٠٩م، وجائزة الميدالية الذهبية في معرض جنيف الدولي للاختراعات ٢٠٠٩م، وجائزة الشرق الأوسط السادسة للشخصيات التنفيذية لعام ٢٠٠٩م، و٢٣ جائزة بمعرض ماليزيا الدولي العاشر للابتكار والاختراع ٢٠١١م، و١١ جائزة في معرض جنيف العالمي للمخترعين بدورته التاسعة والثلاثين في إبريل عام ٢٠١١م، و١٣ ميدالية (٨ ميداليات ذهبية، وميداليتان فضيتان، وثلاث ميداليات برونزية) في معرض بريطانيا الدولي للابتكار والإبداع والتقنية في أكتوبر عام ٢٠١١م، و٢٤ جائزة بمعرض ماليزيا الدولي الحادي عشر للابتكار والاختراع في فبراير عام ٢٠١٢م، وجائزة درع التعليم الإلكتروني لأفضل موقع إلكتروني في العالم العربي ضمن مسابقة أكاديمية جوائز الإنترنت في المنطقة العربية.

التصنيفات العالمية للجامعات

أهّلت الإنجازات العلمية التي حقّقتها جامعة الملك سعود دخولها في التنافسية العالمية، وحصولها على ترتيب متقدم، في ظلّ ما نعرفه من تسابق محموم بين الجامعات لتطوير بنيتها وبرامجها. ومن ترتيب الجامعة في التصنيفات العالمية الآتي:

- تصنيف شنغهاي الصيني: دخلت الجامعة نادي أفضل ٣٠٠ جامعة عالمياً، بترتيب ٢٦١ لعام ٢٠١١م، مسجّلةً صدارة عربية وإسلامية.
- تصنيف ويبوماتريكس الإسباني: حافظت الجامعة على مكانتها في نادي أفضل مئتي جامعة عالمية؛ لتحقق المرتبة ١٨٦ بين الجامعات العالمية، متصدرةً الجامعات العربية والإسلامية والشرق أوسطية حسب إصدار يوليو عام ٢٠١١م.
- تصنيف QS البريطاني: حقّقت الجامعة المركز ٢٠٠ عالمياً لعام ٢٠١١م، والأول عربياً.



المدخل الرئيس للجامعة



تأسس صندوق التنمية والاستثمار المعرفي «تمكين» لتسهيل التمويل وتوفيره لرعاية الإبداع والتجديد، وتأسيس الشركات الناشئة

حصدت الجامعة خلال الأعوام القليلة الماضية جوائز وميداليات عالمية كثيرة تدلّ على رسوخ خطاها، وتميز أدائها



قصة

حورية البحر

أسامة محمود شاكر

دمشق – سورية

كان المساء مقبلاً على مدينة حيفا يزفّ شمساً واهنةً ضعيفةً إلى البحر المخضب. حيفا حورية البحر، وحين يجثو البحر على ركبتيه يطلب منها السحر، وينام وسنان؛ ليكتب تاريخاً. جاء اليهود يمزّقون بوحشيتهم كلّ معنى من معاني الإنسانية والكرامة، يدنّسون بأرجلهم أرضاً مباركةً. كنا نحن مسالمين ننتظر الفرج من أعدائنا الذين يكيدون لنا كيداً عظيماً. نتراكض إليهم نطلب منهم الخلاص، وهم يكيلون لنا الحقد والكراهية. وكُشفت اللعبة، واتضحت للعيان الدسيسة والمؤامرة، ووجدت السفن تحمل السلاح لهؤلاء اللصوص.

عندما بدأ رحيلنا عن الوطن قالوا لنا حينها: إنكم عائدون، أشهر وتعودون، لم يعِ أحد منهم المؤامرة، وكيف حيكت. لكن من يوقف النزيف في عينيها والخنجر مغروسٌ في صدرها، استأسدوا جراحها. رنة العويل لا تزال مشوبةً بالأسى في حيرتها، بقي الطواغيت يخطّطون. خلَت المنازل التي أنارتها فرحة الأعياد، وعرفوا أن مأساتهم ستُرسم طوال عمرهم في مخيمات بعيدة، وأنهم لن يروا أرضهم مرةً أخرى. الطيور الجميلة غادرت أعشاشها، وأرض الليل مسدولة، وأُوصدت الطرقات، وباتت الأضواء شحيحةً، والرياح تئنّ وتثور، ورحى المعركة تدور. ونادى الجرح من صلب المدينة، كانوا يقولون: إن الصباح سيأتي بالرعود والمطر، لكنه لم يأتِ. قد لا يكون أحد رأى ما حلّ بالمدينة. عمد اليهود إلى البيوت فأحرقوها، كنا نسمع نحيبها وهي تبكي، وأغمدوا في جسد الأيتام حرابهم في حقد مجنون، لم يخرج الصغار حينها ليلعبوا، قذف اليهود في براءتهم نفحة الخوف والجنون، وهبّ الرجال يحملون معهم الإصرار على البقاء يدكّون عروش المارقين، وصرخت الجموع في وجه الشتات. ما استأنست عيونهم للمجرمين القادمين، وأخطأ اللصوص في حسابهم، ظنّونا لا نجيد الدفاع عن أنفسنا، أو أننا تُهنا على الطريق. وسوّلت الحال لضعاف النفوس الخيانة. لكن المدينة سقطت، خنقتها مرارة الألم والحسرة، وأدمت بسقوطها القلوب، وتعانقت دموع الرجال عندما كبّت. وأطلّ الفجر حزيناً، وأطلّت النسائم محملةً بأريج البارود.

رجل واحد من هؤلاء الذين رفضوا الرحيل بقي صامداً، كان يشتري من هؤلاء الراحلين متاعهم، كان اسمه إبراهيم، وكان غنياً، وصمّم أن يبقى. هو لم يُرزق بطفل، كان يحبّ الخير كثيراً، ولا يفكر يوماً في أنه سيترك متاعه وأرضه للغاصبين، ولم يرحل كما رحل هؤلاء، وبقي وحده في الصراع، حتى جاءه من يطرده من منزله، فحمل ما خفّ وزنه، وغلا ثمنه، ومضى. استوقفته الديار واجمةً حزينةً أن لا ترحل، وبكت الأرض كما بكت على الآخرين من قبله، واستنشق حنين الأرض ومضى.

وضع إبراهيم أقفالاً قوية على بيته الفخم، وألقى عليه نظرات وداع مُرّة. كان له أمل قويّ أنه سيعود قريباً، هكذا كان الوعد بينه وبين أرضه الثكلى. حملته السفينة مع آخرين إلى بيروت، ومن هناك اتّجه إلى دمشق. استقبلوه هناك بحفاوة وكرم، وفي أحد أحيائها القديمة اشترى إبراهيم منزلاً كبيراً، وجعله تحفةً معماريةً. وبينما هو جالس في شرفته مع زوجته يتناولان القهوة، ويتناجيان عن تغيّر حالهما، وكيف تركا الديار لهؤلاء اللصوص، سألها بحرارة: هل من عودة؟. ثم تابع قائلاً: أتُرى يا زوجتي هل غرفة النوم التي اشتريناها قبل سفرنا من جارنا كانت مُصمّمةً لهذه الغرفة الفارغة؟. أجابته: نعم. وأضاف: المطبخ الذي اشتريناه من صديقنا، أليس بالتأكيد قد خطّط لهذه الغرفة؟ وكراسي الخيزران كم تكون رائعة إذا وُجدت هنا على هذه الشرفة؟. كان نظره إلى البعيد، إلى بيته القديم، وإذا بسيارة شحن ضخمة تحمل متاع منزله. ليس هو بالتأكيد، لعله شبيه له. والتقت عيناه متاعه القديم، فسأل زوجته: انظري! أليس هذا المتاع يشبه متاعنا؟! وهذه الكراسي كم هي شبيهة بما اشتريناه وتركناه؟! وهذه، وهذه. وفي لحظات ارتدى ثيابه مسرعاً، وانطلق ليوقف سيارة المتاع. نزل السائق مع صاحبه، وتجاذبا أطراف الحديث، واجتمع الناس على صراخ السائق: إنه مجنون أيها السادة، يدّعي أن هذا المتاع ملكه، وبلا بيّنة، أنا الذي اشتريته، صاحبي هذا يشهد على ذلك. وجاءت الشرطة، وجيء بالمختار، فسأل إبراهيم عن دليله: أيوجد في متاعك صورة لك أو لأهل بيتك؟. أصيب إبراهيم بالإحباط، وصمت، وفكر ثم قال: لا. سأل زوجته، لكن لم تجب على الرغم مما في فمها من كلام كبير. لقد كانت الزوجة الخائفة من زوجها لعدم إنجابها تخبّئ مالاً داخل هذا المتاع، فنطقت، وأُنزل المتاع إلى الأرض. اقتسم إبراهيم المال المخبّأ في المتاع مع السائق، وحمل أثاث منزله إلى بيته الجديد؛ ليقول الناس أجمعين: إن المال الحلال لا يذهب أبداً. وحتى الآن يصرّ إبراهيم على عدم بيع أيّ قطعة من أثاثه على الرغم من قدمه؛ لأنه ذكرى، وأيّ ذكرى، وسجد لله الرحمن الرحيم.

محمد عباس علي داود
الإسكندرية – مصر



لا يا أخي!

لا يا أخي!
ما زال في صدري ضياءْ
الظلمة السوداءُ تنشر ريحها
تقتات لحظات الصفاءْ
تجثو العيون أمامها
وأمامها تندكّ أعمدة الرجاءْ
لكنني ما زلتُ أفترش اليقين موحّداً ربّ السماءْ

***

لا يا أخي!
ما زال في القلب اليقين
بأن أجنحة الظلام لها انطواءْ
وأن للعصفور حقاً أن يغرّد كيف شاءْ
والطفل يحتضن الصباح إذا أهلّ
مع النقاءْ
ما زلتُ أوقن يا أخي
أن الطريق إلى الحياة
يمرّ من باب الرجاءْ
أتراك تحتمل النهار إذا أتاك بلا ضياءْ ؟

***

لا يا أخي
ما زلتُ أحتمل الصمود
بوجه طاغوت الظلام
على الطريق
بلا انحناءْ
ما زلتُ في وجه الرياح
أصدّ موجات العواءْ
ما زلتُ أحمل ألف عينٍ
كي أرى حولي جيوش الغلّ والأحقاد
أرصد هجمة الظلمات في ليل العداءْ
ما زلتُ وحدي حاملاً سيف الإباءْ

***

أنا لستُ أنكر فيك وجه الصمت في زمن الرياءْ
فالأم واحدةٌ
ونحن بنو العروبة أوفياءْ
وهناك وقت الجد
أعرف
سوف يصرخ كلّ نبضك بالإخاء

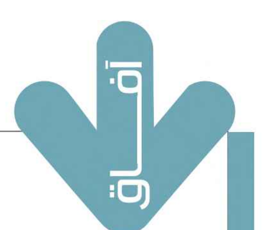
قصيدة



تقاطعات الثقافة والسياسة

تقاطع الثقافة والسياسة واقع ليس وليد اليوم، لكنه إرث إنساني له استمراريته بأشكال تناسب كلّ عصر ومصر. مع ربيع الثورات العربية ظهر هذا التقاطع بشكل جليّ يؤكد أن العالم العربي يسير نحو التغيير مع محاولات لمواجهته. كما أن هذا التقاطع يتجاوز الوطن العربي إلى أنحاء أخرى في العالم، وننقل هنا ملامح من هذا الواقع الذي يلقي بظلاله حتماً على المستقبل.

رصد: حسين حسن حسين
هيئة التحرير



وفاة المفكر الفرنسي المسلم روجيه جارودي

توفي الفيلسوف والمفكر الفرنسي المسلم روجيه جارودي في باريس الأربعاء ٢٣ رجب ١٤٣٣هـ/ ١٣ يونيو ٢٠١٢ عن عمر ناهز ٩٨ عاماً.

وُلد جارودي في مدينة مرسيليا في السابع عشر من يوليو عام ١٩١٣م من عائلة متوسطة الدخل لأبٍ يعمل محاسباً. والتحق جارودي بالمقاومة الفرنسية خلال احتلال فرنسا إبان الحرب العالمية الثانية، وبعد الحرب ألّف جارودي خمسين كتاباً معظمها في الفلسفة والماركسية. وكان جارودي، الحاصل على الدكتوراه في الآداب، والمجاز في الفلسفة، قد التحق بصفوف الحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٣٣م، وفي عام ١٩٤٠م سُجن ثلاثين شهراً في معسكر بالجزائر. وفي عام ١٩٤٥م انضم إلى اللجنة المركزية للحزب، وفي عام ١٩٥٦م انضم إلى المكتب السياسي. كما انتخب نائباً في عام ١٩٥٤م، وخسر في عام ١٩٥١م، وأعيد انتخابه في الجمعية الوطنية (١٩٥٦- ١٩٥٨م)، ثم في مجلس الشيوخ (١٩٥٩- ١٩٦٢م). وبعدها تولّى تدريس الفلسفة في ألبي بجنوب فرنسا، والجزائر العاصمة، وباريس (١٩٥٨- ١٩٥٩م)، ثم أصبح محاضراً ثم أستاذاً أساسياً في الجامعة. وطُرد جارودي من الحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٧٠م بعد انتقاده الغزو السوفييتي لتشيكوسلوفاكيا.



كان جارودي المهتم بمسائل الدين قد اختلف مع عائلته البروتستانتية، واعتنق الكاثوليكية؛ ليهجرها فيما بعد إلى الإسلام؛ إذ أعلن إسلامه في عام ١٩٨٢م. ومن آراء جارودي عن اعتناقه الإسلام التي ضمّنها كتابه: الإسلام دين المستقبل، «أن الإسلام أكثر الأديان شمولية في استقباله للناس الذين يؤمنون بالتوحيد، وشكّل قبوله لأتباع الديانات المختلفة في عقر داره أكبر دليل على تقبّل تلك الثقافات والحضارات».

وتميّز جارودي بالجرأة في الطرح، وكان أجرأ ما كتبه كتاب (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)، الذي قاده إلى خوض معارك في المحاكم الفرنسية. وواجه جارودي تهمة معاداة السامية؛ بسبب التشكيك في محارق الهولوكوست، وحُكم عليه بالسجن مع إيقاف التنفيذ، ووجد الكتاب ترحيباً واسعاً في العالمين العربي والإسلامي بعدما أدانته المحكمة الفرنسية عام ١٩٩٨م.

أصدر جارودي عدداً كبيراً من المؤلفات، التي ظلّ فيها مدافعاً عن الإسلام، ومناهضاً الرأسمالية والإمبريالية، ومعادياً إسرائيل والحركة الصهيونية، من أبرزها: لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، والأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها، ومحاكمة الصهيونية الإسرائيلية، وحفّارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، والولايات المتحدة طليعة الانحطاط، وحوار الحضارات، وكيف نصنع المستقبل؟.

نال جارودي جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٥م عن كتابيه: ما يَعِدُ به الإسلام، والإسلام يسكن مستقبلنا، إلى جانب دفاعه عن القضية الفلسطينية بكلّ جرأة.

رحيل الصحفي والسياسي غسان تويني



كتبت صحيفة النهار على صفحتها الأولى: «رحل.. فجر النهار»، في نعي لناشرها غسان تويني الإعلامي والسياسي اللبناني البارز الذي توفي يوم الجمعة ١٩ رجب سنة ١٤٣٣هـ/ ٨ يونيو ٢٠١٢م في بيروت عن عمر ناهز الـ٨٦ عاماً بعد صراع طويل مع المرض.

وكتبت حفيدته نايلة تويني رئيسة مجلس إدارة الصحيفة: «هكذا قبل صياح الديك رحلت»، مضيفةً: «لن أرثيك اليوم، ولن أبكيك. لا عبارات لديّ تفيك بعض حقك. أمامك، وأنت سيد القلم، تسقط الحروف، وتعجز الكلمات».

وكان تويني قد تحمّل مسؤولية صحيفة النهار الذائعة الصيت بعد وفاة والده جبران، الذي كان من أعمدة الصحافة اللبنانية والعربية، وأسس النهار في عام ١٩٣٣م، وتولّى تويني رئاسة تحريرها بين عامي ١٩٤٨ و١٩٩٩م، ولقب بـ(عملاق الصحافة العربية) و(عميد الصحافة اللبنانية)؛ إذ بدأ عمله في مجال الصحافة وهو في بداية العشرينيات في صحيفة النهار، ثم دخل معترك الحياة السياسية، وأصبح نائباً في البرلمان اللبناني، في الخامسة والعشرين من عمره. وشغل مناصب وزارية في عدة حكومات، ومارس العمل السياسي، وشغل منصب سفير لبنان في الولايات المتحدة الأمريكية، وعيّن سفيراً للبنان لدى الأمم المتحدة عام ١٩٧٧م، ويُنسب إليه القرار ٤٢٥ الصادر عن مجلس الأمن الدولي عام ١٩٧٨م، الذي دعا إسرائيل إلى الانسحاب من لبنان.

وضع تويني عدداً من المؤلفات في الصحافة والسياسة، منها: اتركوا شعبي يعيش، وسر المهنة وأصولها، والثقافة العربية والقرار السياسي، وقراءة ثانية في القومية العربية، والإرهاب والعراق قبل الحرب وبعدها، وحرب من أجل الآخرين.

ونعى اتحاد الصحفيين العرب غسان تويني، وجاء في بيانه: «إن تويني رحل بعد سنوات طويلة أمضاها دفاعاً عن حرية الرأي، واستقلال مهنة الصحافة، ودافع عن استقلال لبنان وحريته وكرامته في وجه محتليه وغاصبيه، ونموذجاً ومثالاً للبنان يحاكي روعة الأرز والجبل وصمود الجنوب».

وتويني حاصل على شهادة البكالوريوس في الفلسفة من الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٤٥م، كما حصل عام ١٩٤٧م على الماجستير في العلوم السياسية من جامعة هارفارد في الولايات المتحدة. وعمل محاضراً في العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية في بيروت بين عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨م. وترأس تويني جامعة البلمند الخاصة، وعيّن عضواً في مجلس أمناء الجامعة الأمريكية في بيروت، وعمل محاضراً للعلوم السياسية في الجامعة الأمريكية في بيروت. وقد فقد تويني عدداً من أفراد أسرته في ظروف مأسوية، وكان آخر عهده بالكتابة الراتبة منذ ثلاث سنوات.

في معرض عراقي بلندن

عراقية توثّق فنياً «تقنية الخراب».. وبريطانيان يدينان بلير



استضافت قاعة (موزاييك) في لندن المعرض الفني المشترك للفنانة العراقية هناء مال الله والثنائي البريطاني كينارد وفيلبس الذي حمل عنوان: (العراق: كيف، وأين، ولمن؟).

وتضمن المعرض لوحات ضخمة، وأخرى متوسطة الحجم، لأعمال تقوم على الدمج والتركيب الفني والمونتاج الفوتوغرافي، أعيد إخراجها بصورة نقدية هادفة.

وشارك الثنائي: الرسامة كات فيلبس، والرسام بيتر كينارد، بأعمال موحدة وقّعت باسم (كينارد فيلبس)، وهي نتاج إعادة فرز المواد الصحفية عن الحرب على العراق، وتقطيعها، وإعادة تركيبها، ودمجها، وإخراجها بأسلوب فني هادف.

ومن أبرز ما ضمّ المعرض عمل للثنائي كينارد وفيلبس تظهر فيه دماء الأطفال العراقيين وهي تلاحق رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير، وفي صورة أخرى يبدو مبتسماً وهو يلتقط صورة له بواسطة كاميرا هاتف نقال، بينما تظهر خلفية الصورة انفجاراً ضخماً.

وشاركت الفنانة مال الله بأعمال من القماش المحترق والملابس والأسلاك، فضلاً عن الطلاء وأدوات أخرى لصناعة قطع فنية بأسلوب تجريدي تظهر الدمار الذي شهده بلدها العراق، وتنقل أعمالها آثار القصف والدمار والدماء والخوف في العراق إبان الحرب، وتظهر في بعضها أيضاً آثار الحرب الطائفية، وسرقة التاريخ، والتدمير الثقافي، وتصفية العلماء بأسلوب سمّته الفنانة (تقنية الخراب).

وتنفي الفنانة مال الله أنها سياسية، لكن الوضع السياسي لبلدها أرغمها على تناول موضوع الحرب التي اكتوت بلهيبها كسائر العراقيين، وهي تمثّل منعطفاً لها على الصعيد الشخصي الفني والحياتي، كما أنها منعطف في تاريخ العراق الحديث.

فنانون مسلمون يحاربون «الإسلاموفوبيا» في أمريكا





برز فنانو كوميديون عرب ومسلمون بالولايات المتحدة الأمريكية يقدمون عروضاً ذات طابع فني وترفيهي لمحاربة ظاهرة (الإسلاموفوبيا) بسرد قصص وروايات وتجارب لإزالة الصورة النمطية عن العرب والمسلمين.

ويبرز بين هؤلاء الكوميدي بريتشر موس الذي يمارس نشاطه الفني منذ عام ١٩٩٢م، ونجح في استقطاب جمهور عريض؛ ليثبت عدم صحة اتهام المسلمين بالتجهم، وعدم الميل إلى الضحك. وأنتج موس فلماً بعنوان: الله جعلني شخصاً مضحكاً، يجمع ثلاثة عروض كوميدية من نوع (ستاند أب كوميدي شو)، ويؤديها معه كلّ من: زاهر عثمان الهندي الجذور، والكوميدي العربي محمد عامر.

ويعكس عثمان في هذا الفلم بشكل ساخر صورة المسلمين الراسخة في الإعلام الأمريكي؛ إذ يعتلي المنصة بلحية وشعر طويلين، ويخاطب الجمهور قائلاً: «أنا واثق أنكم لم تروا شخصاً على هيئتي يبتسم من قبل؛ لذلك اقتنصوا هذه الفرصة والتقطوا صورة لي!».

ويتطلع موس إلى هزيمة الإسلاموفوبيا بوصفها أيديولوجيا تجب محاربتها والتخلص منها. ويعدُّ موس عملاً كوميدياً بعنوان: إلى هنا وصل المسلمون، وهو يعبّر عن المسلمين بصورة حقيقية؛ لأنه ليس من الصواب ترك الآخرين يعبّرون عنهم.

ويهدف الفنان الكوميدي دين عبيدالله، وهو فلسطيني إيطالي، إلى الجمع بين إضحاك الناس، وتصحيح سوء الفهم الذي يحيط بالعرب والمسلمين في أمريكا. ويؤكد عبيدالله أن الفن أفضل وسيلة للوصول إلى شرائح مختلفة في المجتمع الأمريكي، الذي يعرف القليل فقط عن المسلمين، وهو سلبي بالتأكيد.

ويشارك الفنانين المسلمين عدد من نجوم المجتمع الأمريكي الذين يتعاطفون مع ما يطرحون، منهم جون ستيورات صاحب البرنامج التلفزيوني الكوميدي (العرض اليومي لجون ستيورات) على قناة (سي إن إن).

وأكّد ماز جبراني الإيراني الأصل أن هناك من علّقوا على عروضهم بقولهم: «إنهم كانوا يعتقدون أن جميع العرب والشرق أوسطيين هم بشر سيئون».



مثقفون أردنيون

يحتجون على رئيس رابطة الكتاب بسبب سورية

اعتصم أكثر من ١٥٠ مثقفاً ينتمون إلى التجمع الثقافي الأردني مساء الخميس ٢٤ رجب ١٤٣٣هـ/ ١٤ يونيو ٢٠١٢م أمام مقر رابطة الكتّاب الأردنيين في عمان مستنكرين تصريحات رئيسها موفق محادين المؤيدة للنظام السوري.

وتلا الشاعر طاهر رياض بيان المعتصمين، الذي أوضح أن «موقف رئيس الرابطة لا يمثّلنا، ولا يعكس رأينا ورؤيتنا لدور المثقف، الذي من البديهي أن يقف ضد أيّ ظلم، ويساند المظلومين». وأكد التجمع في بيانه دعمه المطلق ثورة الشعب السوري، ومطالبه بالحرية والكرامة، وجدّد رفضه كل أشكال التدخل الخارجي العسكري، سواء أكان أمريكياً أم روسياً أم من أيّ جهة أخرى.



وقال المخرج فيصل الزعبي: إن النظام السوري يحرس إسرائيل منذ أربعين سنةً، بينما استنكر غازي الذيبة أن يسفح دم شعبنا في سورية يومياً من دون رادع عربي أو دولي. وقال القاصّ هشام البستاني: «إن موقف محادين انسحب زوراً وبهتاناً على المشهد الثقافي، وهو لا يمثّل المثقفين الأردنيين، ويتناقض مع تاريخ الرابطة التي نشأت للدفاع عن الحرية، ومواجهة القمع من النظام الرسمي العربي». ورأى الكاتب سلامة كيلة أن الشعب السوري يحتاج إلى تضامن كبير؛ لأنه يواجه نظاماً وحشياً يمارس القتل والتفكيك والتفتيت الطائفي، وقال: «إن الوقوع في التباس الموقف بين مثقفي الأردن يثير الدهشة والألم؛ لأنه يظهر من يتوه في تهويمات نظرية تقوم على مؤامرات إمبريالية موهومة». وأكدت القاصة جميلة عمايرة، التي استقالت من الرابطة احتجاجاً على موقف محادين، أن «المثقف الحقيقي والحرّ ينحاز بالضرورة إلى الحرية والحق ضد الطغيان».

وقد دافع رئيس رابطة الكتاب الأردنيين موفق محادين عن موقفه، مشيراً إلى أنه تم تحوير كلامه برابطة الفنانين، وتوظيفه بصورة غير صحيحة؛ إذ وصف حزب البعث بأنه عروبي ووطني، ولم يتطرق إلى سورية، ولم يهتف لبشار الأسد إطلاقاً.



«أنا فهمتكم».. دليل انفصال السلطة عن الواقع



«لغتنا لم تعُدْ تنتج المعنى، والحل سياسي».. رأي أدلى به الخبير التونسي في علم الاجتماع الطاهر لبيب في أمسية نظّمها منتدى عبدالحميد شومان الثقافي بعمّان يوم الاثنين ٢٨ رجب سنة ١٤٣٣هـ/ ١٨ يونيو ٢٠١٢م، محذّراً من أن اللغة العربية مهدّدة بالانقراض، ودعا إلى تشكيل جمعيات للرفق بها.

وأشار لبيب إلى (الثقافة العربية وإنتاج اللامعنى)، موضحاً أنه يقصد باللامعنى فقدان القدرة في المجتمع على إنتاج المعنى الدالّ على الواقع والممكن فيه، وتفكّك العلاقة بين الفكر والواقع، وتدخل الجميع في المسائل الفكرية والسياسية والدينية الكبرى، والإفتاء فيها، وقال: إنتاج المعنى في العلوم الإنسانية، وفي العلوم الصحية، يتطابق فيه الدالّ مع المدلول، لكن الإبداع يحتاج إلى الخيال والمجاز؛ إذ لا يبدع إلا إذا خرج عن الاصطلاح، كما قال أحد الشعراء: «السماء زرقاء كالبرتقالة»، وكما قال محمود درويش: «ليس في القلب متّسع للحديقة يا بنت».

وعزا لبيب عدم تأثر الثقافة العربية عبر مسارها بالفكر العلمي إلى عدم انفتاح العلوم الإنسانية على العلوم الطبيعية والتطبيقية، وغياب الحريات، واتساع الممنوعات الفكرية. كما تحدث عن عدم انضباط اللغة لتسمح بقول كلّ شيء؛ بسبب انفصال السلطة عن الواقع، مشيراً إلى حديث العقيد الليبي الراحل معمر القذافي، والرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي، الذي قال لشعبه: «الآن فهمتكم».

ووصف لبيب السياسة والإعلام بأنهما الأقلّ إنتاجاً للمعنى والإضافة فيه، وتطرّق إلى الثورة التونسية قائلاً: إن «الناس العاديين كانوا يعلمون أن الدلالات السائدة في مجتمعهم كانت لا تطابق المدلولات، لكنهم خضعوا لها بالإكراه»، وأضاف: إن الحقائق كانت في الشارع، لكن المثقف والباحث لم يتنبّها لها، مؤكداً أهمية أن تبني الثورة خطابها، وإنتاج المعنى، ومحاربة اللامعنى.

عمل أستاذ علم الاجتماع الطاهر لبيب مديراً عاماً للمنظمة العربية للترجمة في بيروت، وهو مؤسّس الجمعية العربية لعلم الاجتماع، وأمينها العام منذ عام ١٩٨٥ حتى عام ١٩٩٦م، ورئيسها من عام ١٩٩٦ حتى عام ٢٠٠٢م، وهو حالياً رئيسها الشرفي.

فنانو مصر: دعاء لمبارك.. ومرارة الخيار بين مرسي وشفيق

في ظلّ الثورة المصرية المستمرة منذ أكثر من عام ونصف العام وجد الفنانون المصريون أنفسهم في أتون السياسة، ومن أبرز الذين وقفوا موقفاً سلبياً من الثورة المطرب والملحن والموزع عمرو مصطفى، الذي قيل إنه دخل في إضراب عن الطعام حتى يتم الإفراج عن الرئيس السابق محمد حسني مبارك، الذي حُكم عليه أخيراً بالسجن المؤبد، لكنه نفى ذلك، وطلب من متابعي صفحته على الفيسبوك قراءة سورة يس، والدعاء بالإفراج عن مبارك.

أما المخرج خالد يوسف، فهو أكثر الفنانين الذين خاضوا السياسة، وكان منسقاً في حملة مرشح الرئاسة حمدين صباحي، وقد قال عن الخيار بين مرشح الإخوان المسلمين د. محمد مرسي والفريق أحمد شفيق المنتمي إلى عهد مبارك: «إن مصر في مأزق شديد بعد نتيجة المرحلة الأولى من انتخابات الرئاسة المصرية، وذلك بعدما أصبح الاختيار صعباً؛ لأن الضمير الحقيقي للوطن لن يكون مع الاستبداد الديني وسيطرة التيار الإسلامي على كلّ مقاليد الأمور في البلاد وكلّ المؤسسات، ولا هو مع استمرار النظام السابق وإعادة إنتاجه؛ فالتنافس أصبح بين خيارين كلاهما مرّ».

ويبدو أن شخصيات عهد مبارك ستكون مادةً دراميةً





دسمةً؛ فيجسد الممثّل إيهاب فهمي شخصية علاء مبارك نجل الرئيس السابق محمد حسني مبارك في مسلسل (المزرعة) للمؤلف محسن الجلاد. وقال فهمي: إن المسلسل لا يدين علاء؛ لأن المحاكمات مازالت مستمرة، والفن ليس محاكمةً شعبيةً.

وحاولت حملة الفريق شفيق اللعب على أوتار الفن؛ فصرح أحمد سرحان المتحدث باسم الحملة: «لا رقابة على الإبداع الأدبي والفني والفكري ما دام ذلك الإبداع يأتي نابعاً من ثقافتنا المصرية التي تحفظ ثوابت المجتمع، وتحترم عقائد الجميع، ولابد من تشجيع تصدير المنتج الثقافي المصري بأشكاله المختلفة، وتبنّي السياسات التي تدعم دور مصر الرائد في مجال الإنتاج الثقافي والفني في العالم العربي»، وأكد أن شفيق آلمه كثيراً ما تعرّض له الفنان عادل إمام، وكلّه ثقة بأنه سيخرج من هذه المحنة منتصراً.

في المغرب.. الفن والأدب يسخران من القذافي وصدام والوزراء

ينظّم نادي القلم المغربي وجمعية معرض الكتاب بالدار البيضاء مسابقةً أدبيةً في فن الزجل أو الشعر باللغة العامية تروّج لوجهة نظر هذه الفئة من الشعراء في وزراء الحكومة المغربية.

وسوّغ الناقد والكاتب المغربي عبدالمجيد الحسيب ذلك بأن صوت السياسة المزعج قد يجعلنا بحاجة إلى صوت الشعر ليحرّرنا من الرتابة؛ لأنه يمثّل بحثاً مستمراً عن أفق جديد للمعنى والإنسان، وقال: إن هذه المنافسة تحفز المبدعين إلى الكشف عن رؤاهم الفنية وآرائهم الفكرية في موضوع السلطة والحكم باستدعاء شخصيات عامة قد تكون موضوعاً للتندر والسخرية والتعرية أو المدح بحسب وجهة نظر كل شاعر.

وأكد شعيب حليفي أن «المثقف المغربي، الذي علّمنا نحن كجيل، هم من أمثال أحمد اليبوري، وعابد الجابري، ومحمد برادة، وعبدالكبير الخطيبي، والعشرات من الأسماء في حقول ثقافية ومعرفية مختلفة، لهم مواقف ومبادئ، وبجوارهم أعلام في الحقلين السياسي والاجتماعي».

ومن شروط المسابقة التي وضعتها الجهة المنظمة المشاركة بقصيدة واحدة مُرفقة بسيرة الشاعر، وعنوانه الكامل، وآخر موعد لقبول المشاركات هو ٣٠ يونيو ٢٠١٢م. وفي المهرجان الدولي للضحك في دورته الثانية بمراكش، التي عُقدت في أوائل شهر يونيو، جسد الفنان جمال دبوز شخصية العقيد الليبي معمر القذافي، وسلوكياته خلال الحرب الليبية قبل مقتله، كما أنه يمزج في هذا العمل بين شخصيتي العقيد والزعيم العراقي صدام حسين.

لوحات تشكيلية تثير أزمةً في تونس.. ومطالبات باستقالة وزير الثقافة

طالبت نقابة المهن التشكيلية التونسية وزير الثقافة مهدي مبروك بالاستقالة، ومقاضاته مع اثنين آخرين من الوزراء في الحكومة التونسية، هما: علي العريض وزير الداخلية، ونور الدين الخادمي وزير الشؤون الدينية، بتهمة تجييش الرأي العام ضد الرسّامين التشكيليين حسب رأيها.

واتهم عمر غدامسي -الأمين العام لنقابة المهن التشكيلية- خلال مؤتمر صحفي هؤلاء الوزراء بالافتراء على الفنانين التشكيليين، وتأليب الرأي العام ضدهم بناءً على مغالطات وإشاعات، مشيراً إلى أن اللوحات الفنية التي عُرضت في قصر العبدلية بضاحية المرسى في تونس العاصمة في إطار تظاهرة ربيع الفنون لا تتضمن أيّ نوع من المسّ بالمقدسات والرسول صلى الله عليه وسلم. وأضاف أن اللوحة التي أثارت غضب المحسوبين على التيار السلفي لم تُعرض في المعرض المذكور، وهي حالياً في السنغال، ورأى في ذلك مؤامرة تُحاك ضد التشكيليين التونسيين وحرية الرأي والتعبير، ودعا وزير الثقافة إلى الاستقالة؛ لأنه لم يدافع عن الفنانين، وسارع إلى إغلاق قصر العبدلية، الذي عُرضت فيه لوحات الرسامين التونسيين.

وكانت تونس قد شهدت فرض حظر التجول ليلاً في عدة محافظات بعد مواجهات عنيفة بين قوات الأمن ومتظاهرين



محسوبين على التيار السلفي اندلعت على خلفية المعرض المذكور، الذي قيل: إنه تضمن لوحات تمسّ المقدسات. وأسفرت تلك المواجهات عن سقوط قتيل برصاص الأمن، إلى جانب حرق كثير من المقرات الأمنية والحزبية والنقابية.

وقال الكاتب التونسي الحبيب السالمي: إن التيار الذي ينشط حالياً في تونس ضد الفن والإبداع لن ينجح أبداً، وأكد أن هناك قوى مدنية تونسية مهمة جداً قادرة على أن تشكّل سداً منيعاً أمام من يريدون تدمير سنوات من الحداثة والتطور.

واستنكر الرئيس التونسي المؤقت منصف المرزوقي، ورئيس الحكومة المؤقتة حمادي الجبالي، ورئيس المجلس الوطني التأسيسي مصطفى بن جعفر، في بيان مشترك «كلّ مسّ بمقدسات الشعب التونسي، بوصفه لا يدخل في حرية الرأي والتعبير»، داعين إلى «تفويت الفرصة على المستفزّين والمتطرفين، والانتصار نهائياً على أشباح النظام القديم بالوحدة والتآزر».

«وطن يتفتح في الحرية».. تظاهرة ثقافية لدعم الثورة السورية

انطلقت في العاصمة القطرية الدوحة يوم الجمعة ١١ رجب سنة ١٤٣٣هـ/ ١ يونيو ٢٠١٢م فعاليات (وطن يتفتّح في الحرية) بمشاركة أكثر من مئة مثقف وفنان وكاتب سوري وعربي حضروا من دول عربية وأوربية لإحياء أسبوع ثقافي يحكي ثورة الشعب السوري. وتقاسمت الافتتاح كلمات مثقفين وفنانين، وكان النصيب الأكبر منه لفلم (حكاية ثورة)، الذي جاء مزيجاً من الصور، ومقاطع الفيديو، وكلمات مثقفين شاركوا في التظاهرات، أو كتبوا مناصرةً لها، إضافةً إلى استذكار ثورات تونس ومصر وليبيا.

افتتح اللقاء الشاعر والصحفي والسيناريست السوري حكم البابا، متسائلاً عما يستطيع الأدب تقديمه للثورة، مشيراً إلى حجم الفرح والحزن الذي يغمر الشعب السوري. وأعاد الفنان السوري سميح شقير عزف أغنيته (يا حيف)، التي أطلقها بعد الهجوم الذي شهدته مدينة درعا من الجيش السوري. وألقت الشاعرة والكاتبة السورية لينا الطيبي كلمة المثقفين السوريين، نافيةً صفة التخاذل عن المثقف السوري، معلنةً أنه «من تخاذل ليس منا». وأكد الفنان المصري نور الشريف أن الفنّ يصنع الإنسان، وطالب بضرورة الاتحاد، وتأجيل الخلاف المذهبي والحزبي في هذه المرحلة. ورأى الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم أن الشعب السوري في طريقه إلى الانتصار.

وشارك في الفعاليات التي استمرت أسبوعاً المفكر العربي الدكتور عزمي بشارة، والشاعر المصري أحمد فؤاد نجم، وعازف العود نصير شمة، والفنانون: سميح شقير، وعلي الحجار، وأحمد قعبور، وأصالة نصري، وسناء موسى. وشهدت الفعاليات عروضاً مسرحية وأفلاماً، من أبرزها عرض أفلام المخرج الراحل عمر أميرالاي التي مُنعت من العرض في سورية.



في السودان.. مبدعون سجلوا مواقف ورحلوا

فقد السودان مؤخراً عدداً من المبدعين من الأدباء والفنانين الذين كانت لهم مواقف سياسية، وفي مقدمتهم الفنان محمد وردي، الذي غنّى لثورتي أكتوبر ١٩٦٤م وإبريل ١٩٨٥م، اللتين أنهتا حكمين عسكريين، الأول حكم الرئيس إبراهيم عبود، والثاني حكم الرئيس جعفر نميري. ومن أشهر القصائد الأكتوبرية التي تغنّى بها وردي (أكتوبر الأخضر) للشاعر والدبلوماسي محمد المكي إبراهيم، ومن كلماتها:

باسمك الأخضر يا أكتوبر الأرضُ تغني
والحقول اشتعلت قمحاً ووعداً وتمنّي
والكنوز انفتحت في باطن الأرض تنادي
باسمك الشعب انتصر.. حائط السجن انكسر
والقيود انسدلت جدلة عُرسٍ في الأيادي

محمد وردي



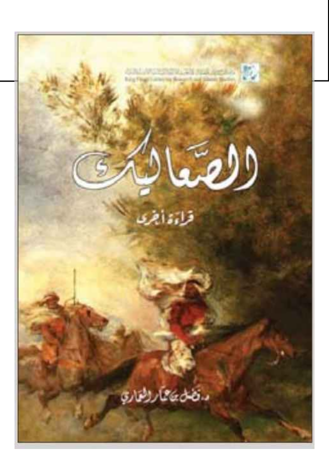
ولا يزال محجوب شريف الملقب بشاعر الشعب يغالب المرض، وسافر إلى الخارج مستشفياً، وقد قدم مع وردي مجموعةً من روائع ما كُتب عن انتفاضة إبريل الشعبية، ومن قصائده: شعبك أقوى وأكبر، ويا شعباً تسامى، وأنا قلبي مساكن شعبية، ويا والدة يا مريم، وغيرها.

كما رحل في ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٤٣٣هـ/ ٢٠ مارس ٢٠١٢م على إثر حادث مروري شاعر العامية محمد الحسن حميد، الذي ظلّ ينقل نبض الشارع بتلقائية وعفوية، واختار الانحياز إلى المواطن البسيط، والتعبير عنه، وعن تطلعاته. وقد قدم عنه كلٌّ من: الدكتور بشري الفاضل، وعالم عباس، دراستين كانتا محور ندوة للنادي الأدبي بالرياض أقامها بالتعاون مع جمعية الصحفيين السودانيين في السعودية في ٥ رجب سنة ١٤٣٣هـ/ ٢٦ مايو ٢٠١٢م.

وفي ١٨ رجب سنة ١٤٣٣هـ/ ٨ يونيو ٢٠١٢م، رحل الدبلوماسي الشاعر سيد أحمد الحردلو بعد أن ترك إرثاً أدبياً زاخراً، ومسيرةً حافلة بالعمل الدبلوماسي الرصين الذي يشبه أهله. وكانت مواقفه السياسية سبباً في بعده أو إبعاده من السلك الدبلوماسي، ومن قصائده الثائرة: لا تساوم، التي تقول كلماتها:

لا تساومْ
بين مظلوم وظالمْ
لا تساومْ
حين يأتي الثأر يجتاح المظالمْ
لا تساومْ
بين أمر الله في العدل
وهاتيك المزاعمْ

الصعاليك.. قراءة أخرى



تعدّ ظاهرة الصعلكة من الظواهر التي كثر الحديث عنها في الأدب العربي الحديث؛ فهي جزء أصيل من دراسة الأدب العربي القديم خاصةً، والحياة العربية قبل الإسلام عامةً.

ومن أحدث الدراسات المعاصرة التي بحثت موضوع الصعلكة كتاب (الصعلكة.. قراءة أخرى)، للدكتور فضل بن عمّار العمّاري، الذي صدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ويقع في ٣٩٩ صفحة من الحجم المتوسط.

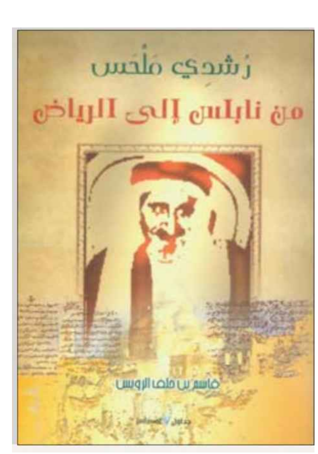
ركّز المؤلف في كتابه هذا في الدوافع الأساسية وراء ظاهرة الصعلكة، مع الاهتمام بناحيتين رئيستين، هما: الناحية الاقتصادية، والناحية العرقية. يقع الكتاب في أربعة أبواب، يبحث الباب الأول منها في الأطر الفكرية للصعلكة، ويشتمل على سبعة فصول، هي: المفهوم العام للصعلكة، والوصف التفصيلي لحالة الصعاليك، والصعاليك الشجعان، ومفهوم الخلع، ونموذج الخليع المطرود، ومشهد الذئاب في لامية تأبط شراً، ومشهد الذئاب في لامية الشنفرى. ويشتمل الباب الثاني، الذي جاء تحت عنوان: (الصعلكة: الواقع والممارسة)، على سبعة أبواب أيضاً، هي: الصعلكة شرف وانتماء، والصعاليك رؤساء وسادة، والغزو خارج حدود القبيلة، والغزو ظاهرة مشتركة بين الصعاليك وسواهم، والغزو القبلي مظهر من مظاهر الصعلكة، وقصائد نموذجية، والنظرة الأُحادية للصعاليك في الجاهلية. ويبحث الباب الثالث في مسألة الانتماء والموطن عند الصعاليك، وفيه خمسة فصول، هي: انتماء الشنفرى، والانتقال واللجوء، والرحلة والظعائن، والتقليد والاتباع في شعر الصعاليك، ونطاق التطواف (الصعلكة). وختم الباب الرابع بدراسة القراءات المعاصرة للصعلكة من خلال فصلين، هما: التوجيه العام، والتوجيه الخاصّ لهذه الظاهرة.

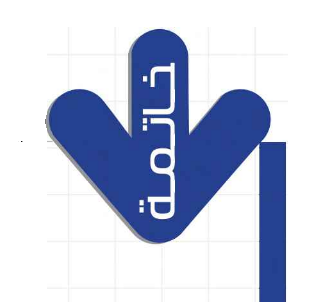
رشدي ملحس من نابلس إلى الرياض

صدر هذا الكتاب عن دار جداول للنشر والتوزيع في بيروت، وهو من تأليف: قاسم بن خلف الرويس. ويسلّط الكتاب الضوء على سيرة رشدي مَلْحَس أحد أبرز رجالات الثقافة والسياسة العربية طوال نصف قرن في أكثر من بلد: تركيا، ثم الشام، وأخيراً السعودية.

ويتتبع الباحث مسيرة ملحس وأنشطته السياسية والثقافية منذ مولده في نابلس إلى استقراره في بلاط الملك عبدالعزيز آل سعود مستشاراً ورئيساً للشعبة السياسية، مروراً بعمله أمين سرّ لجمعية العهد العربي في إستانبول، ثم إصداره صحيفة (الاستقلال العربي) في دمشق، وتوجّهه إلى الحجاز والاستقرار في السعودية، وتولّيه رئاسة صحيفة (أم القرى). ويُعدّ رشدي ملحس أحد أبرز المثقفين العرب؛ إذ حقق ريادةً في نشر عدد من المخطوطات، وتحقيق دراسات تاريخية وجغرافية وأدبية لم يهملها مؤلف الكتاب الذي نبش صحيفة أم القرى وغيرها، وأخرج منها ما نشره ملحس، وضمّنها كتابه.

جاء الكتاب في ٤٨٨ صفحة من القطع الكبير، ويشتمل على سبعة فصول. والكتاب مرفق بالملحقات، ومزوّد بالفهارس الفنية للأعلام والقبائل والأماكن. تناول الكتاب في الفصل الأول سوانح تاريخية، وفي الثاني نوادر المخطوطات، وفي الثالث مؤرّخي الحجاز ونجد، وفي الرابع أوضاع الحكومة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتناول في الفصلين الخامس والسادس معجم منازل الوحي، ومنازل المعلّقات، أما في السابع فتناول متفرقات المباحث التاريخية والجغرافية.





في الذكرى الثانية لرحيله

هل أنصف الإعلام عبدالوهاب المسيري؟

ياسين سليماني

عين البيضاء – الجزائر

ثمة مسألة أراها جديرةً بالاهتمام، هي علاقة المتلقي بكاتب -أياً كان مجاله- في حياته أولاً، وبعد مماته ثانياً. ويمثّل الإعلام سبباً يكاد يكون مباشراً لبناء الوعي العام بأهمية هذا المؤلف أو ذاك، أو النفخ في حجم أحدهما مقابل الآخر. إن كثيراً من الكتّاب يصبحون نجوماً فور وفاتهم؛ للتسليط الإعلامي المكثّف حول أعمالهم، ولمجالس التأبين والعزاء التي تُقام في الأفضية الثقافية وأعمدة الصحافة، وكثير منهم يزداد عدد طبعات كتبه بمجرد إعلان وفاته.

مع ذلك، فإنني لا يمكن أن أمارس منهج الاستقراء مع جميع المفكرين، فأثبت هذا الرأي بإطلاق. أما ما يتعلق بالدكتور عبدالوهاب المسيري (١٩٣٨– ٢٠٠٩م)، الذي حلّت في الثالث من يوليو الفارط ذكرى وفاته الثانية، فقد كان نجماً في حضوره كما كان نجماً في غيابه؛ فكانت له علاقة متميزة بالإعلام، يشهد بذلك الاهتمام الكبير من الميديا الذي أتبع وفاته، وهو يعترف للإعلامية كوثر البشراوي في إحدى حلقات (حوار الثقافة والأدب) فيقول: «من هنا بالمناسبة حرصي الشديد على أن أظهر في التلفزيونات كلما سنحت لي الفرصة؛ لأن هذه هي الطريقة للوصول إلى الملايين، وأنا كمفكّر أريد تغيير الواقع، أحبّ أن أصل إلى الملايين، ولا أخجل من هذا».

ولنتّفق أولاً أن قراءة المسيري بقدر ما هي شائقة، وتغمس المتلقي في جوّ لذيذ من المتعة الفكرية الرفيعة، إلا أنها محفوفة بكثير من مخاطر الانزياح نحو التبسيط؛ إذ لا تعني على الإطلاق بساطة اللغة التي يتحدث بها الرجل وجود هشاشة في الأفكار التي يقدمها أو تسطيح فيها، بل على النقيض التام من ذلك؛ إذ وراء كل جملة أو عبارة يُخيّل للمتلقي أنها بسيطة تتخفى أرمادة من المفهومات البالغة التعقيد. والمسيري كما يرى بعض دارسيه كان يعتمد التبسيط؛ لأن إحدى أهم رسالاته التي كان يؤمن بها توسيع قاعدة المعرفة؛ لأنها اللبنة الأساسية لتوسيع قاعدة المشاركة؛ لذلك فإن أسلوب الحوارات الذي ينبني على صيغة السؤال والجواب يمثّل صورةً مثلى لسعي الدكتور المسيري الدائم إلى تبسيط القضايا؛ مما يساعد على سهولة انتشارها ووصولها إلى القاعدة العريضة من الناس كما ترى سوزان حرفي في كتابها (حوارات الدكتور عبدالوهاب المسيري: الهوية والحركية الإسلامية).

مع ذلك، فإنه كان يتذمّر من الإعلام بقدر ما كان الإعلام إيجابياً معه؛ فهو يقول في كتابه الماتع (رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار): «أعاني كثيراً من صغار الصحفيين الذين يأتون للحصول على تصريح أو حوار، ولكنهم يسجّلون ما يعرفونه فحسب، فإذا وضعنا في الحسبان فقرهم الثقافي والفكري الشديد، وعجزهم عن التعامل مع غير المألوف، أمكننا تخيّل حجم الكارثة، وكثيراً ما أصرح بشيء وأجد عكسه منشوراً، وكم من مرة صحّحت هذا الخلل... ومع هذا لا بد أن أذكر هناك قلةً من الصحفيين تأتي لتقابلني بعد أن تكون قد اطّلعت على بعض كتاباتي، وبلورت بعض الأسئلة الأساسية، ومن



ثَمّ يكون الحديث معهم متعةً حقيقيةً».

إن السياسة الإعلامية المنتهجة في البلاد العربية قاطبةً لا تكاد تفي بحاجة الباحث عن المعرفة، بل أكثر من هذا تقوم في كثير من الأحيان بتشويه الحقائق، وتحويلها لسبب من الأسباب إلى مادة إخبارية مجردة من أي قيمة معرفية جادة ورصينة، بل دائمة.

كما أن دور الإعلام لم يتوقف عند هذا الحد؛ فعلى الرغم من غزارة إنتاج المسيري فقد ظلّ اسمه مرتبطاً بموضوعات اليهود واليهودية والصهيونية، وما يطرحه هذا المجال من إشكاليات، وهذا ما جعل كثيراً من الناس يجهلون ما لهذا المفكر من إسهامات متنوعة يأتي على رأسها تخصّصه في الأدب الإنجليزي، إضافةً إلى أدب الأطفال والشعر، وهو بقدر ما كان مفكراً كبيراً هو كاتب أطفال بامتياز؛ فقد نال جائزة أحسن كاتب لأدب الأطفال عام ٢٠٠٠م، كما نال الجائزة نفسها عام ٢٠٠٣م. ومن النادر أن تجد مفكراً يعمل رئيس وحدة الفكر الصهيوني بصحيفة الأهرام، والمنسّق العام للحركة المصرية من أجل التغيير (كفاية) المعارضة، التي سعت إلى إسقاط النظام المصري وقتها، يكتب للأطفال، بل ينال عن جدارة جوائز رفيعة فيها.

إن الإعلام بقدر ما غمط حق المسيري في الوصول بالشكل الصحيح إلى الملايين، كما كان يرغب في الحوار الذي اقتطفت جزءاً منه، قام بتغيير عدد من المعادلات، وترجيح كفة طرف على طرف آخر؛ فإذا اخترنا موضوع (الصهيونية) بوصفه بؤرةً فكريةً في كتاباته نجده يرى أن الإعلام العربي يركّز في مدى (قوة) الجيب الاستيطاني الصهيوني وبطشه وقدراته العسكرية التي لا تعرف حدوداً. كما يشغل الإعلام العربي نفسه بشكل مرضي بحصر انتصارات الدولة الصهيونية، ويخفق إلى حد كبير في رصد عوامل التآكّل التي تتفاعل داخله، وتدهور الحالة النفسية للمستوطن الإسرائيلي من جراء المقاومة الفلسطينية الباسلة. والمحصلة النهائية لهذا الموقف هي أن المقاومة الفلسطينية تبدو كما لو كانت في معركة خاسرة لا فائدة تُرجى من ورائها. هذا على عكس الصحافة الإسرائيلية التي ترصد الانتفاضة على المجتمع الصهيوني بطريقة ترفع المعنويات، وتبيّن أن الانتفاضة ليست فعلاً عبثياً، كما ذكر في حواره مع مجلة الموقف الأدبي، العدد ١٧٤. وهذا التوجه من الإعلام، سواء أكان أصحابه واعين بمدى خطورته أم عكس ذلك، له أكبر التأثير في صياغة الوعي الجمعي لدى الإنسان المتلقي سلباً أو إيجاباً.

ونماذج تورّط الإعلام في الهزيمة النفسية للمجتمع العربي وتخاذله، وتقزيم صورته كما رأينا، كثيرة، منها المثال الذي سأسوقه، والذي على الرغم من تسبّب المثقفين في حدوثه بدرجة كبيرة إلا أن

الإعلام له اليد الطولى فيه؛ فهو يهرع كثيراً إلى تبني الأفكار الأجنبية ولو كانت خاطئة؛ مما يمثّل تبعيةً صارخةً للمركزية الغربية التي تعتقد أن أيًّا من الأفكار المهمة هي نتاج لهذا الغرب من دون غيره، ويبقى على العرب النقل والاستنساخ، وربما ما حدث للمسيري يوضح هذا؛ فهو يعلن أنه كان السبّاق إلى وضع مصطلح (نهاية التاريخ) الذي اشتهر به فرانسيس فوكوياما، وبالرجوع إلى المكتبة الفكرية نجد أن المسيري أصدر كتابه (نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني) عام ١٩٧٢م، أما فوكوياما فنشر مقالاً في ناشيونال أنتريست بعنوان: (نهاية التاريخ) عام ١٩٨٩م، ثم أصدر كتابه الأشهر (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) عام ١٩٩٢م؛ أي: بينه وبين كتاب المسيري نحو سبعة عشر عاماً في المرة الأولى، ونحو عشرين عاماً في المرة الثانية. مع هذا، فإن أغلب الدارسين ينسبون الفكرة إلى فوكوياما من دون النظر إلى الأسبقية التاريخية لإبداع هذا المصطلح. ولم ينبّه الإعلام على ذلك، ولم ينبّه المثقفون عليه بعدما استقالوا من مهمتهم الوجودية، وهو ما دعا المسيري إلى أن يقول في مذكراته: «لم يذكر أحد منهم كتابي بالخير أو بالشر، ولم يقارن أيّ منهم بين رؤيتي للتاريخ ورؤية فوكوياما»، ثم يخلص إلى أن «ثمة هزيمة داخلية في الفكر العربي تجعل من الغرب المرجعية الوحيدة ومصدر المعرفة الأوحد، ولذا لم يتصور أحد أن كتابي ربما يكون قد طرح أفكار فوكوياما قبله بعدة سنوات، وربما بطريقة مغايرة تماماً، ولكنه يتناول الإشكالية نفسها».

هذا التذمّر من الإعلام، سواء الذي يتجاهل أصالة أفكار المسيري في بعض الأحيان، أم يسطحها ويحاول (همبرغرتها)، يقابله من جهة أخرى سطوة إعلامية إلى درجة تفوق التصور؛ فهو يتحدث عن تلقّي المؤسسة الإعلامية كتابه الرئيس (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية) فيقول: «فاق التلقّي الإعلامي كلّ توقعاتي»؛ ففي شهر واحد وجد الرجل نفسه محطّ اهتمام الإعلام بكلّ أنواعه: المرئي في أهم محطاته، والمقروء على طول الرقعة العربية، وهو الاهتمام الذي يعترف بأنه لم يكن أمراً مألوفاً لديه، فاكتسحه تماماً.

هذا الاكتساح الذي عرفه المسيري بعد صدور موسوعته سبّب له تغيّراً كبيراً، فكما يقول: «الاهتمام الإعلامي أصبح يتهدد حياتي الفكرية بالخطر»؛ لأن الجهد الذي يبذله للإجابة عن الأسئلة، والظهور في البرامج، كان يستنفد كلّ طاقته.

ولأن الدكتور المسيري -كما يحكي عن نفسه- كان محباً للنكتة، وولاؤه لها يكاد يكون مبدئياً يَجُبُّ كثيراً من الولاءات الأخرى، فهو تعامل مع هذه السطوة الإعلامية التي باغتته في إثر صدور الموسوعة بخفة روح عالية، فهو يقول: «فكّرت في شعار طريف أطرحه على الإعلاميين حين قرّرت الاختفاء والعودة إلى عالمي: أنا أفكر، إذاً أنا غير موجود؛ بمعنى أنني حين أستغرق في حياة الفكر فلن أكون موجوداً أجيب عن أسئلة الصحفيين».

وأخيراً، كان يمكن لهذه المداخلة أن تكون بوقاً لكيل المدح للمسيري، وهو يستحقه، لكن رأيتُ أن أفضل ما يمكن تقديمه إلى أيّ كاتب، خصوصاً إذا كان ذا أهمية كبرى مثل هذا الرجل، هو محاولة الفهم، وتشخيص المشكلات والموضوعات ذات الأهمية الحقة؛ فهذا هو الأكثر فائدةً من أجل إدراك واعٍ وفهم خلّاق، وأعتقد أن فكر المسيري يحتاج إلى الصنف الثاني من المقاربات، لا الصنف الأول الذي لا يزيد على أن يكون آنياً لا طائل منه.

بعد هذا أيمكن أن نقول: إن الإعلام أنصف الدكتور عبدالوهاب المسيري أم غمطه حقه؟. أعتقد أن المتلقي سيجد الإجابة عن السؤال بمفرده بعد الرجوع إلى كلّ ما سبق.



تتقدم

مؤسسة الملك فيصل الخيرية
ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ودار الفيصل الثقافية

بأصدق التهاني والتبريكات

إلى صاحب السمو الملكي
الأمير سلمان بن عبدالعزيز

بمناسبة الثقة الملكية الكريمة باختياره ولياً للعهد
نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للدفاع

وإلى صاحب السمو الملكي
الأمير أحمد بن عبدالعزيز

بمناسبة اختياره وزيراً للداخلية

